دراسات في روائع الأدب المملوكي
(١)

ديوان تقي الدين السروجي

ما بقي من شعره وموشحاته



جمع وتحقيق ودراسة
الدكتور نبيل محمد رشاد

Editions Al-Adab 1923
42 Opera Square - Cairo Tel: (202) 23900868

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة، ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

دراسات في روائع الأدب المملوكي

(١)

ديوان
تقيّ الدين السَّروجي

ما تبقى من شعره وموشحاته

جمع وتحقيق ودراسة

د. نبيل محمد رشاد

أستاذ الدراسات الأدبية المساعد
كلية التربية – جامعة عين شمس
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ = ٢٠١١م

Editions Al-Adab 1923
42 Opera square - Cairo – Egypt

الناشر
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا – القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨
البريد الإلكتروني e.mail: adabook@hotmail.com

الناشر

مكتبة الآداب
علي حسن

الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

السروجي، تقي الدين.
ديوان تقي الدين السروجي وما تبقى من شعره وموشحاته/ جمع وتحقيق ودراسة نبيل محمد رشاد.- ط١.- القاهرة: مكتبة الآداب ، ٢٠١١.
٩٦ ص ؛ ٢٤ سم.
تدمك ٧ ٣٤١ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - الشعر العربي - تاريخ العصر الحديث
أ - رشاد، نبيل محمد (جامع ومحقق ودارس)
ب - العنوان
٨١١,٩٠

عنوان الكتاب: ديوان تقيّ الدين السّروجي
ما تبقى من شعره وموشحاته
تاليف: الدكتور نبيل محمد رشاد مصطفى
رقم الإيداع: ٩٨٣٤ لسنة ٢٠١١م
الترقيم الدولي: I.S.B.N. 978 - 977 – 468 - 341 – 7

مكتبة الآداب
(علي حسن)
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة
هاتف: ٢٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢)
e-mail: adabook@hotmail. com

الإهداء

أستاذي الجليل . .

الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلاّم

إنه لمما يملأ نفسي سروراً وغبطة . .

أن أهدي إليكم هذا الكتاب . .

تقديراً لما بذلتموه معي من جهد . .

واعترافاً بما أسديتموه إليّ من فضل . .

وتعبيراً عمّا أكن لكم من ود . .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تحاول هذه الورقة البحثية أن تميط اللثام عن شخصية شاعر من الشعراء المقلين المجيدين في العصر المملوكي الأول وهو تقي الدين السّروجي المتوفى ٦٩٣هـ، كما تسعى إلى لململة ما تبقى من نصوص شعره وموشحاته في مصادر الأدب والتراجم وجمعه وتحقيقه.

وقد اقتضى تحقيق هذين الهدفين أن ينهض بناء هيكل الدراسة على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وهو بعنوان «تقي الدين السّروجي وتصوفه»، وفيه تحدثت عن حياة السروجي من حيث ميلاده، وانتقاله من الشام إلى القاهرة، وأسباب هذا الانتقال وبواعثه، وحياته في القاهرة، كما تحدثت عن فنون ثقافته المختلفة، وآثارها الظاهرة على إبداعه الشعري، وأساتذته من علماء مشرق العالم الإسلامي ومغربه، والعلاقات التي كانت بينه وبينهم، وانتقلت بعد ذلك للحديث عن تصوفه لأن شعره -كما لاحظ بحق أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلاّم- يشف عن نزعة صوفية خالصة.

ومن الغريب الذي لا ينقضي منه العجب أن كل من ترجموا له من القدماء لم يشيروا إلى إنه كان صوفياً، فلم يترجم له القاضي ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار مع من ترجم لهم من صوفية الشام، ولم يتحدث عنه مع من تحدث عنهم من متصوفة مصر، ولم يترجم له العلامة عبد الوهاب الشعراني في

موسوعته الموسومة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، ولم يتحدث عنه بكلمة الدكتور علي صافي حسين في رسالته عن الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري.

وقد حاولت أن أتلمس الأسباب التي دفعت هؤلاء العلماء القدامى والمحدثين إلى تجاهل هذا الرجل في تصانيفهم.

الفصل الثاني: وعنوانه «المعاني الصوفية في شعر تقي الدين السّروجي» وقد دار الحديث في هذا المبحث حول مصطلحين اثنين من مصطلحات أهل التصوف شاع استخدامهما شيوعًا ملحوظًا في شعر السّروجي هما مصطلحا «الحال»، و «المحبة». حيث قمت بتعريفهما لغويًا واصطلاحيًا معتمدًا في ذلك على بعض المعاجم اللغوية لعلماء العرب، والكتب الموضوعة في اصطلاحات أهل الفن الصوفي كرسالة الإمام القشيري، ومعجم اصطلاحات الصوفية للإمام الكاشاني، وكشاف اصطلاحات الفنون للعلامة التهانوني، ثم تتبعت استخدامهما في شعر السّروجي، وقد تبين لي من خلال هذا التتبع أن نزعة شاعرنا الصوفية لها جانبان أحدهما ايجابي، والآخر سلبي، ويتمثل الإيجابي منها فيما كانت تستوحيه من مقولات رواد التصوف السني في العصور السابقة على عصره، حيث وجدت في شعره ترديدًا لمعاني صوفية وردت في أقوال نثرية وشعرية لكل من: سمنون المحب ت٢٩٠هـ، والإمام الجنيد ت٢٩٧هـ.، والإمام أبي علي الروذباري ت٣٢٢هـ.

وأما الجانب السلبي من جانبي نزعة السّروجي الصوفية فيتمثل فيما كان يستوحيه من نصوص مبتدعة المتصوفة في عصره من مثل محمد بن إسرائيل ت ٦٧٧هـ، وابن الخيمي ت ٦٨٥ هـ، وغيرهما.

المبحث الثالث: وعنوانه «ما تبقى في كتب الأدب والتراجم من شعر السّروجي وموشحاته: جمع وتحقيق». وفيه قمت بجمع ما تيسر لي جمعه من مصادر الأدب والتراجم من شعر الرجل وموشحاته مع ضبطه وتحقيقه، وقد بلغ في مجموعه ثمانية وعشرين نصًا تنقسم إلى أربعة وعشرين نصًا شعريًا، وأربعة موشحات، وذلك من المصادر الآتية:

١ - أعيان العصر، وأعوان النصر لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، المتوفى ٧٦٤هـ.

٢ - تأهيل الغريب، لشمس الدين النواجي المتوفى ٨٥٩ هـ.

٣ - تاريخ حوادث الزمان وأنبائه، ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، لشمس الدين الجزري المتوفى ٧٢٩ هـ.

٤ - خزانة الأدب، وغاية الأرب، لتقي الدين أبي بكر علي، المعروف بابن حجة الحموي المتوفى ٨٣٧هـ.

٥ - الدر المكنون في السبع فنون لمحمد بن أحمد بن إياس المصري الحنفي.

٦ - ديوان الصبابة لابن أبي حجلة التلمساني ت ٧٧٦هـ.

٧ - ديوان الموشحات المملوكية بمصر والشام: الدولة الأولى، للدكتور أحمد محمد عطا.

٨ - صرف العين، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي المتوفى ٧٦٤هـ.

٩ - العذارى المائسات في الأزجال والموشحات، لمؤلف مجهول، جمعها وانتقاها فيليب قعدان الخازن، وحققها الدكتور محمد زكريا عناني.

١٠ - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين العيني المتوفى ٨٥٥هـ.

١١- عقود اللآل في الموشحات والأزجال لشمس الدين النواجي المتوفى ٨٥٩هـ.

١٢- الغيث المسجم في شرح لامية العجم، لصلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي المتوفى ٧٦٤هـ.

١٣- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي المتوفى ٧٦٤هـ.

١٤- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري المتوفى ٧٤٩هـ.

١٥- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي المتوفى ٨٧٤هـ.

١٦- الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي المتوفي ٧٦٤هـ.

وبعد: فلقد كان هذا أهم ما تيسر لي عرضه ودرسه في هذه الورقة البحثية فإن كان فيه شيء من النفع فالحمد لله -تعالى- على ما هدي وأعان، وإن جانبني التوفيق والسداد فحسبي أنني توخيت الصواب ما استطعت والحمد لله أولاً وآخرًا، وعليه -سبحانه- قصد السبيل.

الفقير الى الله تعالى

د. نبيل محمد رشاد

الفصل الأول

تقي الدين السّروجي وتصوفه

المبحث الأول

حياة السَّروجي وثقافته(*)

١ - حياة السَّروجي:

(*) ترجم له كلٌّ من:

أ- شمس الدين الجزري القرشي المتوفى ٧٣٩هـ في كتابه: «تاريخ حوادث الزمان وأنبائه، ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه» المعروف بتاريخ ابن الجزري نشرة الأستاذ الدكتور عمر عبد السلام تدمرى ١/ ٢٤١ وما بعدها.

ب- علم الدين البرزالي المتوفى ٧٣٩هـ في كتابه: «المقتفى على كتاب الروضتين» المعروف بتاريخ البرزالي، نشرة الأستاذ الدكتور عمر عبد السلام تدمرى، الجزء الأول من القسم الثاني صفحة ٣٦٧.

ج- ابن فضل الله العمري المتوفى ٧٤٩هـ في كتابه: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، ينظر نشرة مركز زايد للتراث والتاريخ بتحقيق الدكتور محمد عبد القادر خريسات وزميليه، ١٩/ ١٣٠.

د- محمد بن شاكر الكتبي المتوفى ٧٦٤هـ في كتابه: «فوات الوفيات»، ينظر نشرة د. إحسان عباس ٢/ ١٩٦ وما بعدها، ونشرة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ١/ ٤٦٧ وما بعدها.

هـ- صلاح الدين الصفدي المتوفى ٧٦٤هـ في كتابه: «الوافي بالوفيات»، يراجع الجزء السابع عشر من طبعة جمعية المستشرقين الألمانية باعتناء دوروتيا كرافوسكي صفحة ٣٤١ وما بعدها.

و- خير الدين الزركلي في كتابه: «الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب، والمستعربين والمستشرقين»، الطبعة الثانية، ٤/ ٢٤٣.

ز- أستاذنا الجليل الدكتور محمد زغلول سلاَّم في كتابه: «الأدب في العصر المملوكي»، يراجع نشرة منشأة المعارف بالإسكندرية، ١/ ٣٦٢ وما بعدها.

هو تقي الدين أبو محمد(١) عبد الله بن علي بن منجد(٢) بن ماجد بن بركات السَّروجي، ولد عام ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م(٣) بالشام في بلدة قريبة من حران اسمها «سروج»(٤)، وإليها ينسب، ومات بالقاهرة عن عمرٍ يناهز ستة وستين عاماً في سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م(٥)، والشاعر بهذا ينتمي إلى مجموعة شعراء دولة المماليك الأولى بمصر والشام(٦) لأنه كان شابًا في الحادية والعشرين من عمره عند ابتداء

---

(١) هذه الكنية مما تفرد بذكره ابن فضل الله العمري في ترجمته لتقي الدين السروجي، ينظر مسالك الأبصار ١٩/ ١٣٠.

(٢) ينظر: فوات الوفيات ٢/ ١٩٦، وفي الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤١، وهو عند ابن الجزري: تقي الدين عبد الله بن علي بن محمد بن ماجد السروجي، وربما كانت رواية ابن الجزري هي الأصوب لقرب عصره من عصر السروجي، ولعل الذي أذاع رواية ابن شاكر، والصفدي هو انتشار كتابيهما في عصرنا على نطاقٍ واسعٍ منذ أمدٍ بعيد.

(٣) الأعلام للزركلي ٤/ ٢٤٣.

(٤) فوات الوفيات ٢/ ١٩٧، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٢، ويقول عنها الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد: «وهي التي يعيد الحريري في ذكرها ويبدي في مقاماته، فتحت في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - في سنة ١٧ من الهجرة صلحا». ينظر فوات الوفيات بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١/ ٤٦٧ هامش رقم (١).

(٥) فوات الوفيات ٢/ ١٩٧، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٢، والأعلام ٤/ ٢٤٣.

(٦) يطلق فريق من الدارسين على دولة المماليك الأولى اسم دولة المماليك البحرية على اعتبار أن سلاطينها كانوا من مماليك الصالح نجم الدين أيوب الذين كانوا بجزيرة الروضة، لكني أوثر تسمية الدكتور أحمد مختار العبادي للأسباب التي ذكرها في كتابه ومنها أن عدداً منهم لم يكن من سكان جزيرة الروضة. ينظر قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام للدكتور أحمد مختار العبادي ص ٧.

أمرها، وقد عاصر من سلاطينها عشرة هم[1]:

١ - شجرة الدر: [٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م-٦٤٨هـ- ١٢٥٠م].

٢ - عز الدين أيبك: [٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م- ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م].

٣ - علي بن أيبك: [٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م-٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م].

٤ - المظفر قطز: [٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م-٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م].

٥ - الظاهر بيبرس: [٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م-٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م].

٦ - الملك السعيد: [٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م-٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م].

٧ - بدر الدين سلامش: [٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م-٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م].

٨ - المنصور قلاوون: [٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م-٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م].

٩ - الأشرف خليل: [٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م-٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م].

١٠ - الناصر محمد (المرة الأولى): [٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م-٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م].

ومعنى هذا أن تقي الدين السروجي قد شهد المرحلة الأولى من مراحل حياة دولة المماليك الأولى بمصر والشام، ونعني بها مرحلة السلاطين الكبار ذوي الأيد والبأس، الذين استطاعوا درء ما أحدق بالمنطقة من أخطار بما خاضوا من حروب ضد التريين في عين جالوت [٦٥٨هـ / ١٢٦٠م]، وفي وقعة حمص الأولى ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، وفي وقعة حِمْص الثانية [٦٨٠هـ / ١٢٨١م]، وبما افتتحوا من بلدان وحصون كان قد تملكها الصليبيون من مثل فتح حصن المرقب [٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م]، وفتح طرابلس [٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م] على يد المنصور قلاوون، وفتح عكا [٦٩٠هـ / ١٢٩١م]، واستسلام صور

---

(١) ينظر: الأدب في العصر المملوكي لأستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام ١/ ٢٩، والعصر المماليكي في مصر والشام للدكتور سعيد عاشور ص١١ وما بعدها.

وصيدا [٦٩١هـ / ١٢٩١م] في عهد الأشرف خليل.

وإذا كانت كتب التراجم قد صمتت عن ذكر الأسباب الكامنة وراء انتقال تقي الدين السروجي أو ارتحاله من الشام واستيطانه واستقراره بالقاهرة فبمقدورنا أن نقرر أن هذا الانتقال كانت تقف وراءه رغبة الشاعر في العيش بمنأى عن ساحات الاقتتال التي صار الشام كله – تقريباً – مسرحاً لها في ذلك الزمان.

ولم يذكر من ترجموا له – على كثرتهم – أيَّ شيءٍ على الإطلاق عن سنى حياته التي قضاها بالديار الشامية، كما لم يذكروا شيئا ذا بالٍ عن حياته في القاهرة سوى أنه «كان يسكن الحسينية»[1] التي هي «أجل حواضر القاهرة، وبوادي حضرتها الزاهرة»[2].

وفي تصوري أنّ إقامته بالحسينية تنهض دليلاً على ثرائه، وما كان يتقلب فيه من الوفرة في المال، والسعة في الرزق، لأنه لو كان مقترًا عليه في الرزق لما استطاع أن يعيش في أرقى أحياء القاهرة في عصره.

وليس ثمة تعارض – فيما أرى – بين تصوري هذا عن ثراء السَّروجي وبين ما ورد في مصادر الأدب والتراجم من وصفه بأنه «كان رجلاً خيِّراً، عفيفاً، ...، متقلِّلاً من الدنيا»[3].

وأحسب أن هذا الوصف لا يدل على فقر السَّروجي أو رقة حاله بقدر ما يدل على أنه كان يتصف بصفتين محمودتين أولاهما هي السماحة والجود،

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري ١٩/ ١٣٠.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤١، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤١، وفوات الوفيات ٢/ ١٩٦.

والأخرى هي القناعة والرضا.

ولا يفوتني – ها هنا – أن أشير إلى أن غالب ما دوّن المؤرخون عن السَّروجي وحياته، وصفاته وأخلاقه مأخوذ عن روايتين تعزى أولاهما لشهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي المتوفى ٧٢٥هـ، وتنسب الأخرى لأثير الدين أبي حيان الغرناطي الأندلسي المتوفى ٧٤٥هـ، وهما الرجلان اللذان عاصرا السَّروجي وصاحباه، واختلطا به، ورويا عنه معظم ما تبقى في كتب الأدب والتراجم من نصوص شعره.

٢ – ثقافته:

وتمدنا رواية أثير الدين الغرناطي بمعلومات مهمة عن ثقافة السَّروجي حيث جاء بها «عنده حظ جيد من النحو، واللغة، والآداب»[١].

وتشير الرواية إلى أن حظ السروجي الجيد من النحو قد اكتسبه من قراءاته الكثيرة في كتاب المفصل للإمام الزمخشري، وأن حظه الجيد من اللغة قد اكتسبه من حفظه واستظهاره معظم مواد كتاب الصحاح للجوهري، أما حظه من الآداب فاكتسبه من قراءاته واطلاعه المستمر على ديوان أبي الطيب المتنبي، ومقامات الحريري.

وأثير الدين الغرناطي يشير بهذا الذي قال إلى أن تقي الدين السروجي كان مهتماً بتنمية قدراته الإبداعية عن طريق إثراء معجمه اللغوي إثراءً متواصلاً وذلك بـ:

أولاً: مراجعة ما يحتاج إلى مراجعته من موادَّ لغوية لمعرفة صحتها،

---

(١) تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤١، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤١، وفوات الوفيات ٢/ ١٩٦.

والوقوف على ما قاله الجوهري بشأنها.

ثانياً: محاولة التعرف على نظام العربية في بناء الكلمة، وفي بناء الجملة عن طريق ما يقرأ في مفصل الزمخشري من مباحث صرفية ونحوية.

ثالثاً: الاطلاع على طرائق المفلقين من الشعراء، وكبار الكتاب في التعبير والأداء.

ويبدو في بعض شعره وموشحاته أثر هذه القراءات اللغوية والأدبية كما في قوله من موشحة:[1]

أقــسام هجرانــه لعــشقي ∴ مــاض ومــستقبل وحــال

حيث نجده يستخدم أقسام الفعل عند النحاة في هذا السياق الشعري الشاكي من هجر المحبوب، وتمنعه، وبخله بالوصل وذلك ليعبر بها عن قسوة هذا المحبوب، وإفراطه في الدلال من ناحية، وليعبر بها عن يأس المحب، وانقطاع أمله أو رجائه في الفوز بالوصل من ناحية أخرى.

وفي موشحة أخرى يقول[2]:

وقيــان الطيــور قــد غنَّــت

وعــن الموصــليّ قــد أغنــتْ

وإليهــا أرواحنــا حنَّــتْ

والمثــاني بالــضرب فــد أنَّــتْ

(١) فوات الوفيات ٢/ ٢٠٥،ديوان الموشحات المملوكية الدولة الأولى ٢٨٥، والنص الثامن والعشرون من مجموعنا هذا.

(٢) ينظر: عقود اللآل للنواجي صفحة ٢/ ٢٠٥، وديوان الموشحات المملوكية الدولة السادس ٢٨٥، والنص الثامن والعشرون من مجموعنا.

ففي هذا النص تظهر ثقافة السروجي الأدبية واضحة جلية، لأنه يدل على معرفة صاحبنا بإسحاق بن إبراهيم الموصلي، وبما كان يُشيعه من الأنس والبهجة فيما كان يُحْيِيه من ليالي الغناء والسَّمر في قصور الخلفاء العباسيين.

ومما ينبئ عن ثقافته أنه يستخدم في نسيج بيته الشعري ألفاظًا لها دلالات اصطلاحية وظيفية كما في قوله[1]:

نديمي ومَنْ حالي من الوجْدِ حاله ومَنْ هو مثلي عن مناه بعيدُ
أعد ذكر من أهوى فإني مدرسٌ لذكراه من شوقي وأنت معيدُ

فالمدرس، والمعيد اللتان وردتا في البيت الثاني من هذين البيتين لفظتان منتزعتان من حقل لغوي وظيفي هو حقل وظائف التعليم في الحضارة العربية الإسلامية.

ويعلق الصفدي على قول السروجي[2]:

يا ساعي الشوق الذي مذ جرى ∴ جرتْ دموعي فهي أعوانُهُ
خذ لي جواباً عن كتابي الذي ∴ إلى الحسينية عنوانُهُ
فهي كما قد قيل وادي النَّقا ∴ وأهلها في الحسن غزلانه
امش قليلا وانعطف يَسْرَةً ∴ يلقاك دربٌ طال بنيانه
واقصد بصدر الدرب باب الذي ∴ بحسنه تحسَّن جيرانه

(١) ينظر الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٧، وفوات الوفيات ٢/ ٢٠١، والنص السابع من مجموعنا هذا.

(٢) ينظر الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٤، وفوات الوفيات ٢/ ١٩٩، والنص العشرون من مجموعنا هذا.

سلّم وقل يخشى مسن كي مسن ∴ آشت حديثا طال كتمانُهُ

كنكم كزم ساوم إشي أط كبي ∴ فَحُبُّهُ أنت وأشجانه

وأسأل لي الوصل فإن قال يق ∴ فقل أوت قد طال هجرانُهُ

وكن صديقي واقض لي حاجة ∴ فشكْرُ ذا عندي وشكرانه

فيقول: «وأظن الشيخ تقي الدين – رحمه الله – إنما أخذ قوله هذا من قول الرئيس أبي بكر ائلاسكي [(١)]، وهو من شعراء الدمية حيث قال:

قِفْ بذاتِ الجرعاء يا صاحب البكـ ـرة وانظر تلقاء جانب نَجْدِ

فإذا ما بدت خيامٌ لعينيـ ـك ففيها التي بها طال وجدي

فأت تلك الخيام ثم تيمَّم خيمةً سترها عصائب بردِ

ثم سلّم وقف وقل بعد تسليـ ـمك قول امرئٍ مجدِّدِ عهدِ

أترى أنكم على ما عهدنا كم عليه أم ختنتمُ العهد بعدي.» [(٢)]

وفي تصوري أن قيمة هذا التعليق تكمن فيما يومئ إليه من أن السروجي كان يمدُّ طرفه إلى شعراء المشرق الإسلامي يقرأ إبداعاتهم، ويستوحيها فيما ينظم من أشعار.

ومن الغريب الذي لا ينقضي منه العجب أن الصلاح الصفدي، وابن شاكر

---

(١) هو القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد بن جعفر، ترجم له الباخرزي ضمن من ترجم لهم في الدمية من شعراء الجبال، وأصفهان، وفارس، وكرمان، ينظر دمية القصر بتحقيق الدكتور سامي مكي العاني ١/ ٣٥٥، وقد روي الباخرزي هذه الأبيات للشاعر نقلا عن الشيخ أبي القاسم بكر بن المستعين الكاتب.

(٢) الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٥.

الكتبي كليهما قد أوردا هذا النص ضمن ما أورداه من نصوص شعرية لتقي الدين السَّروجي دون أن يعلق أيٌّ منهما على ما يحوي من ألفاظ وعبارات غير عربية، ويذكر العلامة الدكتور إحسان عباس أنها كلمات وتراكيب تركية، ويشير إلى أنه لم يهتد إلى حلها[1]، ومعنى هذا أن تقي الدين السروجي كان يعرف اللغة التركية، ويجيد الحديث بها إلى الحد الذي يجعله يطوِّع ألفاظها وعباراتها ليصوغها في قالب شعري عربي، لكنّا لا ندري أكانت معرفته بها سابقة على مجيئه إلى القاهرة أم أنها كانت بعد مجيئه إليها، واختلاطه بمن هام بهم عشقاً من غلمان الأتراك الذين كانوا يعيشون بحي الحسينية؟

وهناك جانب آخر من جوانب ثقافة تقي الدين السروجي لم يحدثنا عنه مترجموه، وأفصح عنه ما تبقى من نصوص شعره وموشحاته، وهو الجانب الفقهي، يقول الشاعر[2]:

تفقهت في عشقي لمن قد هويته ∴ ولي فيه بالتحرير قول ومذهبُ
وللعين تنبيه به طال شرحه ∴ وللقلب منه صدق ودٍّ مهذبُ

ففي هذين البيتين يتحدث الشاعر عن تفننه في التودُّد لمحبوبه بالقول اللين، وبالإشارة اللطيفة بطرف العين، وبإظهار شوق القلب إليه، وتلهُّفه عليه، ولقد وظف السروجي في هذا الحديث عدداً من أسماء الكتب المشهورة في فقه الإمام الشافعي – رضي الله عنه – من مثل كتاب «التنبيه»[3] للشيخ أبي إسحاق إبراهيم

---

(١) فوات الوفيات ٢/ ١٩٩ هامش رقم (٢).

(٢) ينظر فوات الوفيات ٢/ ٢٠٠، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٦، والنص الأول من مجموع شعره، بالفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٣) ينظر في هذا الكتاب وما وضع عليه من شروح كشف الظنون ١/ ٤٨٩ وما بعدها.

ابن علي الشيرازي الشافعي المتوفى ٤٧٦هـ، وكتاب «المهذب»[(١)] له أيضًا، وهذا فيه من الدلالة ما فيه على أن شاعرنا كان شافعي المذهب.

ويقول من موشحة في وصف هوى من يحب[(٢)]:

كــم حـــار في وصـــفه فقيـــهُ
هـــواه مـــن أشـــكل المســائل

والسّروجي في هذا النص لا يشير إلى أسماء مؤلفات فقهية بعينها، وإنما يستخدم في وصف ألم الهوى، وحرقة الوجد مصطلحًا من المصطلحات التي يشيع استعمالها بين الفقهاء، وهو مصطلح المسائل المشكلة.

ولقد ذاع صيت السّروجي شاعرًا في عصره، ويبدوا أنه كان من المكثرين المجيدين، لأن الصفدي يتحدث عنه فيقول «وشعر تقي الدين السّروجي كثير، وكله يتدفق سلاسة، ويذوب حلاوة لمن يذوق[(٣)].»، ويتحدث عن أبي الربيع سليمان بن إبراهيم بن سليمان المعروف في الديار المصرية بابن كاتب قراسنقر، وفي الشام بالمستوفي (ت٧٤٤هـ) فيذكر أن لهذا الكاتب الشاعر نصًا ينحو فيه منحى تقي الدين السّروجي في أبياته التي أولها: يا ساعي الشوق يقول الصفدي «فمما أنشدني لنفسه قوله ينحو فيه ما نحاه الشيخ تقي الدين السّروجي في أبياته المشهورة:

قــصة الــشوق سر بهـــا يـــا رســـولي ∴ نحـــو مـــن قربـــه منـــاي وســـولي
عند باب الفتــوح حــارة بهــا الدّيــ ∴ ــن تحــت الســاباط قــف يــا خليلي

---

(١) ينظر في هذا الكتاب وما وضع عليه من شروح كشف الظنون ٢/ ١٩١٢ وما بعدها.

(٢) فوات الوفيات٢/ ٢٠٥، والنص رقم٢٦ من مجموعنا هذا.

(٣) الوافي بالوفيات١٧/ ٣٤٦.

وإذا ما حللت تلك المغاني ∴ قف بتلك الطلول غير مطيل

وتأمل هناك تلق غرير الط ∴ رف أحوى يرنو بطرف كحيل

من بني الترك فاتر الطرف يرمي ∴ بنبال الجفون كل نبيل

ألفيّ القوام قد ألف الهج ∴ ر دلالاً على المحب الذليل

فإذا قال أوزي نجك در سلام بر ∴ كيف حال المضني الكئيب العليل

قبّل الأرض ثم قدم إليه ∴ قصة قدمت بشرح طويل

فإذا قال أوزي نجك در سلام بر ∴ كيف حال المضني الكئيب العليل[1]

قل قلن خشي داكل تلاماس دن ∴ ادن ألاسن بلا تطويل[2]

كال سني كرسكين كشي[3] شفّه الو ∴ جد فأضحى حلف الضنى والنحول[4]»

والصلة واضحة بين هذا النص الشعري ونص تقي الدين السّروجي المشار إليه، فهما ينتميان إلى غرض شعري واحد وهو الغزل، وقد نهج ابن كاتب قراسنقر نهج السّروجي في بناء النص من حيث:

أولاً: التجريد: لأن كل واحد من الشاعرين ابتدأ نصه بمخاطبة غيره، وهو في الحقيقة يوجه الخطاب إلى نفسه، فلقد خاطب السّروجي ساعي الشوق،

---

(١) تكرر هذا البيت في النص مرتين، وورد في نص فوات الوفيات مرة واحدة في موضعه هذا من النص ينظر فوات الوفيات٢/ ١٩٩-٢٠٠.

(٢) جاء بهامش رقم٢ من صفحة٢٠٠ بفوات الوفيات قول د/ إحسان عباس: في هذا البيت والذي قبله ألفاظ تركية، ولست واثقاً من صحة كتابتها.

(٣) جاء بفوات الوفيات بدل هذا الكلام التركي كلام عربي هو (جد لمن في هواه قد).

(٤) أعيان العصر ٢/ ٤١٦.

وخاطب ابن كاتب قراسنقر رسوله إلى المحبوب، فأمر السّروجي ساعي الشوق أن يذهب إلى حي الحسينية، ذلك الحي الذي يسكن فيه الأتراك من طائفة الأويراتية الذين يشبهون الغزلان في الحسن[١]، وطلب منه أن يترفق في دخول دار المحبوب بإلقاء السلام، حتى يأنس المحبوب إليه، كما طلب الشاعر من الرسول أن يشرح للمحجوب ما يعتمل في صدر المحب من لواعج الهوى بأفصح عبارة، وأبين إشارة، وَوُعِدَ إن هو نجح في إلانة عِطف المحبوب بالمكافأة وحسن العقبى.

وأمر ابن كاتب قراسنقر رسوله إلى المحبوب أن يذهب إلى حارة بهاء الدين الكائنة بباب الفتوح وأن يقف هناك عند منازل الأحبة، وأطلالهم الدارسة إلى أن يقابل المحبوب، ولم ينس ابن كاتب قراسنقر أن يبين أوصاف ذلك المحبوب للرسول، حيث نص على أَنَّ المحبوب فاتر الطرف، معتدل القد، رشيق القوام، جانح للهجر، جامح في الدلال والتمنع، تتشوق نفسه إلى معرفة أخبار عاشقه، أمر ابن كاتب قراسنقر مبعوثه أن يتأمل أهل ذلك الحي، ويتفرس في وجوههم، وأن لا ينبس ببنت شفة حتى يتعرف المحبوب بنفسه عليه، حيث سيدفع القلق على المحبِ المحبوبَ إلى السؤال قائلاً: كيف حال المضني الكئيب العليل؟، فإذا ما سأل المحبوب عن حبيبه أجبته أيها الرسول إجابة قصيرة موجزة فحواها أن المحب قد شفه الوجد فأضحى حليف الضنى والنحول.

ثانيًا: المزج بين اللغتين العربية والتركية في نظم النص حيث استعان كل واحد من الشاعرين ببعض الألفاظ والعبارات التركية التي أدرجها في مطاوي

---

(١) الأدب في العصر المملوكي ١/ ٣٦٣

الكلام، فلقد استعان السروجي ببعض الكلمات والعبارات التركية بدءًا من البيت السادس من أبيات نصه، وضمن ابن كاتب قراسنقر نصه بعض الكلمات والعبارات التركية بدءًا من البيت السابع من أبيات نصه، مع ملاحظة أن ابن كاتب قراسنقر كان أكثر إيغالاً في استخدام اللغة التركية في نصه من السروجي.

المبحث الثاني

تصوف السَّروجي

في كتابه «الأدب في العصر المملوكي» تحدث الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلاّم عن تقي الدين السّروجي بوصفه واحدًا من شعراء التصوف المشهورين في القرن السابع الهجري، وجعله صاحب مذهب خاص في الإبداع الشعري في هذا المجال، وأطلق على هذا المذهب اسم «مذهب عشق الجمال».

وما يريد هذا المبحث أن ينفي عن السّروجي شرف التصوف، وما يريد أن يثبت له ما ليس عنده من المواجيد والتجليات، وإنما يسعى -في حياد وموضوعية- إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

هل كان تقي الدين السّروجي متصوفًا؟، وما حقيقة تصوفه؟، هل هو تصوف سني؟ أم تصوف بدعي؟، وهل كان يعبر في شعره عن تجربة صوفية حقيقية، أم إن ما ورد بشعره لا يعدو أن يكون تقليداً للأئمة الكبار من مثل محيي الدين بن عربي المتوفى ٦٣٨هـ، وأبي الحسن الششتري المتوفى٦٦٨هـ، ونجم الدين محمد بن إسرائيل المتوفى ٦٧٧هـ، وشهاب الدين محمد بن عبد المنعم المعروف بابن الخيمي المتوفى ٦٨٥هـ، وعفيف الدين التلمساني المتوفى٦٩٠هـ، والبوصيري المتوفى ٦٩٥هـ، ومن قبلهم ابن الفارض ت ٦٣٢هـ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ألفت النظر إلى الأمور الآتية:

أولاً: لم يترجم له القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري ت٧٤٩هـ في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ضمن من ترجم لهم من صوفية الشام، ولم يتحدث عنه مع من تحدث عنهم من صوفية مصر، وإنما ترجم له بوصفه واحداً من شعراء الغزل الحسي المصريين.

وصنيع ابن فضل الله العمري هذا يدعو –في تصوري- إلى الاستغراب والدهشة لسببين أحدهما يتعلق بالشاعر، والآخر يتعلق بابن فضل الله العمري نفسه، أما أولهما الذي يتعلق بالشاعر فلأن السّروجي لم يكن بالرجل الخامل في عصره، وإنما كان رجلاً مشهوراً له علاقاته بكبار رجال الدولة من أرباب الأقلام في زمنه الذين كانوا أساتذة لابن فضل الله نفسه، كالقاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي المتوفى ٧٢٤هـ الذي عمل بديوان الإنشاء بمصر والشام مدة تربو على خمسين عاماً[١].

وكانت لتقي الدين السّروجي –أيضاً- علاقات واسعة بالعديد من العلماء والفقهاء من أرباب الوظائف الدينية الرسمية في الدولة الذين كانوا من تلامذة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد القشيري، العلامة الصوفي الشافعي المشهور، من مثل الشيخ الإمام فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري المتوفى ٧٣٤هـ الذي كان - إلى جوار كونه من جملة موقعي الدست بديوان الإنشاء في عهد السلطان حسام الدين لاجين- كان قد تولى مشيخة المدرسة الظاهرية، ومشيخة مدرسة أبي حليقة علي بركة الفيل، وخطابة جامع الخندق، وخطابة جامع الرصد[٢].

وكان السّروجي على صلة –أيضاً- بعالم ثانٍ من تلامذة الشيخ ابن دقيق العيد وهو القاضي أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الله القيسراني المتوفى ٧٣٦هـ الذي

---

(١) شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي كاتباً رؤية أدبية ونقدية للدكتور نبيل محمد رشاد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ القاهرة. صفحة ٣٠

(٢) أعيان العصر، وأعوان النصر، للصفدي ٥/ ٢٠٧.

كان من جملة موقعي الدست بالقاهرة، وكتبة السر في حلب[1].

وجميع هذا يدلل على أن السّروجي لم يكن بالرجل الخامل في عصره كما سبق أن أشرنا، ومن ثم كان من الغرابة بمكان أن يخفي حاله على من كان في منزلة ابن فضل الله العمري.

هذا هو السبب الأول الذي دعا إلى الاستغراب والدهشة من تجاهل ابن فضل الله العمري للحديث عن السّروجي ضمن من تحدث عنهم من المتصوفة.

أما السبب الآخر فهو يتعلق - كما ألمحنا من قبل - بابن فضل الله نفسه، فقد كان ابن فضل الله على ما يقول الصفدي في وصفه بليغاً مفوهاً، ناظماً مترسلاً، «يتوقد ذكاءً وفطنة ويتلهب»[2]. وكان «ينظر إلى غيب المعنى من ستر رقيق، ويغوص في لجة البيان فيظفر بكبار الدر من البحر العميق[3]».

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: أليس من الغريب ألا يفطن من كانت هذه صفاته وملكاته إلى ما يحمل غزل السّروجي وراءه من معاني ومضامين صوفية؟.

ثانياً: لم يترجم له العلامة عبد الوهاب الشعراني في كتابه الموسوم بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، الذي قصره على الترجمة لأئمة التصوف منذ نشأته حتى عصره، ولعلنا نستطيع أن نتلمس للشعراني العذر فيما فعل لتأخر زمنه من ناحية، ولتجاهل من سبقوه الترجمة للسّروجي في طبقات المتصوفة من ناحية أخرى.

---

(١) أعيان العصر للصفدي ١/ ٥١٦ وما بعدها.

(٢) أعيان العصر ١/ ٤١٧.

(٣) السابقة نفسه، والصفحة نفسها.

أو لعلنا نستطيع أن نتلمس للشعراني العذر فيما فعل لأنه كان مهتماً بالمتصوفة الذين كانت لهم كرامات مشهورة متداولة على ألسنة الناس، ولم يكن مهتماً بسائر الصوفية الذين لم يصلوا إلى درجة الولاية.

ثالثاً: لم يشر إليه بكلمة واحدة الدكتور علي صافي حسين في رسالته عن الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري على الرغم من أنه صنع في نهايتها ثبتاً بأسماء المتصوفة المصريين، كما لم يشر إليه بكلمة في رسالته الثانية التي بعنوان «الأدب الصوفي في مصر» التي قصرها على دراسة ابن الصباغ القوصي، شيخ التصوف المصري في القرن السابع الهجري، وربما كان الدكتور علي معذوراً فيما فعل في هاتين الرسالتين، لأن تقي الدين السّروجي ليس له أي ديوان شعري مخطوط أو مطبوع، ولأن جل المصادر التي تحتفظ بما تبقى من مجموع شعره كانت مخطوطة أو في عداد المفقودة وقت إعداد الدكتور رسالتيه.

نخلص من هذا كله إلى أنه ليس هناك نص صريح يدل على تصوف السروجي، ومع هذا هناك إشارات تلمح إلى تصوفه، منها مثلاً قول أثير الدين الغرناطي في وصفه: «يغلب عليه حب الجمال مع العفة التامة، والصيانة»[1]، ويقول عنه أيضاً «كان.. لا يكاد يظهر إلا يوم الجمعة»[2]، ويقول عنه أيضاً «وكان لي به اختلاط وصحبة، ولي فيه اعتقاد»[3].

وفي تصوري أن أثير الدين الغرناطي كان يريد بما رواه في هذه الفقرات الثلاثة من صفات السّروجي إلى أن يشير إلى ما كان عليه تقي الدين من

(١) الوافي بالوفيات١٧/ ٣٤١، وفوات الوفيات٢/ ١٩٦، وتاريخ ابن الجزري١/ ٢٤١.
(٢) الوافي بالوفيات١٧/ ٣٤١، وفوات الوفيات٢/ ١٩٦، وتاريخ ابن الجزري١/ ٢٤١.
(٣) الوافي بالوفيات١٧/ ٣٤١، وتاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤١.

التصوف، وهي إشارة بالغة الأهمية هاهنا لأنها من شاهد عيان عاصر الرجل وخالطه وصاحبه، ولاحظ عليه أنه شديد التعلق بالجمال المادي دون تهتك أو خلع للعذار شأنه في ذلك شأن غيره من المتصوفة الذين يرون في الجمال المادي صورة من الجمال المطلق[1]، ولاحظ عليه أيضا أنه ينقطع عن الناس غالب وقته حيث لا يكاد يظهر إلا في يوم واحد من أيام الأسبوع هو يوم الجمعة، وهنا يزيد ابن الجزري الأمر توضيحاً فيشير إلى أن صاحبنا كان يخرج يوم الجمعة إلى الجامع الأزهر لأداء الصلاة ليصلي مع أصحابه، ولينادمهم قبل الصلاة وبعدها[2].

وشعر تقي الدين السّروجي يمتلئ بالأبيات التي تقف دليلاً على صدق ما حكى عنه أبو حيان، وابن الجزري في هذين الجانبين، أعني فيما يتصل بعشق الجمال، ومنادمة الأصحاب ومؤالفتهم. فهو يتعشق الجمال المادي الحسي ويقبل عليه، ويتفنن في تصويره، ومن ذلك قوله في وصف الخال[3]

في الجانب الأيمن من خدِّها ... نقطةُ مسك أشتهي شمّها

حسبته لما بدا خالها ... وجدته من حسنها عمّها

وقوله في وصف محبوبه من موشحة[4]:

---

(١) الأدب في العصر المملوكي ١/ ٣٦٣.

(٢) تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤١.

(٣) تاريخ ابن الجزري ١/ ٣٤٣، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٢-٣٤٣، وصرف العين ٢/ ١٦٩. والنص رقم ١٧ من مجموعنا هذا بالفصل الثالث.

(٤) عقول اللآل ١٥٥-١٥٦، والدر المكنون ٣١٥/ ٣١٦، والنص رقم (٢٧) من مجموعنا هذا، بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

بـــابلي اللحـــظّ رومـــيّ الخفـــر

حبـشيّ الخـال زنجـيّ الــشعر

عـــربيّ اللفـــظ تركـــيّ النظـــر

هــزّ مــن أعطافــه ســمر الريــاح وانتضى مـن جفنـه بـيض الـصفاح

ويبدو لي أن أثير الدين الغرناطي قد نظر إلى السّروجي بعين المحب حين ادعى له العفة التامة، والصيانة والتورع، لأن بعض ما وصل من نصوص شعر تقي الدين وموشحاته يدل ظاهره على أنه كان يعب من اللذات عباً، فهو يقول من موشحة(1):

وأنهـب العـيش مـن زمـاني بالــضم مــن ذلــك القــوامِ

وأبلــغ القــصد والأمــاني بلــثم مــا حــوى اللثــامِ

ويقول من أبيات(2):

عانيــت في بــارحتي زفــة قــضيت فيهــا كــل أوطــاري

مازلــت مــذ عاينتهــا قــائلاً يــا ليتهــا كانــت إلى داري

وفي تصوري أن منادمة السّروجي أصحابه كانت تنبع من مشكاة تعلقه بالجمال الحسي، إذ لابد أن تعشقه هذا الجمال، وكلفه به، ورؤيته الجمال المطلق من خلاله قد أضفى عليه جمالاً نفسياً، لذلك كان مأمون الصحبة، طاهر اللسان(3)

---

(1) فوات الوفيات٢/ ٢٠٦، والنص رقم٢٦ من مجموعنا هذا.

(2) فوات الوفيات٢/ ٢٠٣، والنص رقم ٨ من مجموعنا هذا بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

(3) تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤١، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤١، وفوات الوفيات ٢/ ١٩٦.

ويمتلئ ما تبقى من نصوص شعر السّروجي بالأبيات التي تفصح عن جماله النفسي كما في مثل قوله[1]:

دنيـا المحـب ودينـه أحبابـه ... فـإذا جفـوه تقطعـت أسـبابه

وقوله داعياً المحبوب إلى الغفران والصفح عن المحب[2]:

فدع يا حبيبي عنك ذا الهجر والجفـا ... معاملة الأحباب بالوصل والوفـا

فإن كـان لي ذنـبٌ بجهـلي فعلتـه ... فمثلي مـن أخطـا ومثلـك مـن عفـا

ويتجلى هذا الجمال النفسي – أيضاً – في هذه الأبيات التي يُظْهِرُ فيها البشر بقدوم أحبابه حيث يقول[3]:

يـا مرحباً بقـدوم جـيران النقـا ... كمـل السـرور بهـم وعـز الملتقـى

أَنِسَتْ بقـربهم المنـازل واغتـدى ... وجـه الوجـود بهـم منـيراً مشـرقاً

ولطيب نـشرهم تعطـرت الـصبا ... وأرى عـلى الـدنيا لـذلك رونقـا

وبعد أن رسم أثير الدين الغرناطي لصاحبه هذه الصورة الزاهية، وقرر – مطمئناً – أن له فيه اعتقاداً، بعد ذلك كله روى عنه أشياء تخل بعدالته، وتقدح في تدينه وتصوفه قال الصفدي: «أخبرني العلامة أثير الدين أبو حيان قال: ودفن لما

---

(١) الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٣، والنص رقم٢من مجموعنا هذا بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٢) تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤٤، والنص رقم١١ من مجموعنا هذا بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٣) فوات الوفيات٢/ ٢٠٢، والنص رقم١٢من مجموعنا هذا بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

مات بمقبرة الفخري بجوار من كان يهواه ظاهر الحسينية[1]»، وقال الصفدي – أيضاً-: «وقال الشيخ أثير الدين: لما مات قال والد محبوبه: والله ما أدفنه إلا في قبر ولدي، وهو كان يهواه، وما أفرق بينهم[2] في الدنيا ولا في الآخرة لما كان يعتقد الفخري من عفافه[3]».

وهاتان الروايتان –إن صحتا– تدلان في رأينا على أن تصوف تقي الدين السّروجي كان تصوفاً بدعياً، وليس تصوفاً سنّيّاً، لأن المتصوف الحقيقي عند أئمة الصوفية الكبار هو الذي يلجم نفسه بلجام الشرع الحنيف، ولا يتركها ليتحكم فيها الهوى، وتستعبدها اللذة، قال الإمام أبو القاسم القشيري «سئل أحمد الجريري[4] عن التصوف فقال: الدخول في كل خلق سنّي، والخروج من كل خلق دني[5]»، وروى القشيري –أيضاً– عن أبي على الروذباري[6] أن الإمام أبا القاسم[7] الجنيد ابن محمد قال «الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله ﷺ[8]»،

---

(١) الوافي بالوفيات١٧/ ٣٤١.

(٢) هذه رواية الوافي بالوفيات، ينظر الوافي١٧/ ٣٤٢، وهي خطأ، والصواب: بينهما.

(٣) الوافي بالوفيات١٧/ ٣٤٢.

(٤) هو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري، من كبار أصحاب الإمام الجنيد. ينظر ترجمته في الرسالة القشيرية ص٤٠٢.

(٥) الرسالة القشيرية ص٢٨٠.

(٦) هو أبو علي أحمد بن محمد بن القاسم بن كسرى ت ٣٢٢هـ. ينظر في ترجمته: شعراء الصوفية المجهولون ليوسف زيدان ص٢١.

(٧) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادي المتوفى ٢١٧هـ، أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه بغداد. تنظر ترجمته في نفحات الأنس للجامي ص٢٥٦.

(٨) الرسالة القشيرية ص٤٣٠.

وقال الإمام الجنيد -أيضاً-: من لم يحفظ القرآن الكريم، ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة[(١)]».

ولقد حذر أهل الشريعة، وأهل الحقيقة المتصوفة من مخالطة الغلمان خوفاً من الوقوع في حبهم، فها هو ذا الإمام ابن الجوزي يروي قصة صوفي مقدسي أحب غلاماً حباً عفيفاً يشبه حب تقي الدين السّروجي لغلامه فيقول: «وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفي، قال أبو حمزة الصوفي: رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاماً مدة طويلة، فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلداً وعظماً من الضنا والكمد، فقلت له يوماً: لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبدًا، فقال كيف أسلو عن رجل أجل الله -عز وجل- أن يصيبه معي طرفة عين أبدا، وصانني عن نجاسة الفسوق في خلال صحبتي له، وخلواتي معه في الليل والنهار[(٢)]».

ويعلق ابن الجوزي على القصة قائلاً: «هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش، فحسّن لهم بداياتها، فتعجلوا لذة النظر، والصحبة والمحادثة، وعزموا على مقاومة النفس في صدها عن الفاحشة، فإن صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذي ينبغي أن يكون شغله بالله -تعالى- لا بغيره، وصرف الزمان الذي ينبغي أن يخلو فيه القلب بما ينفع به في الآخرة بمجاهدة الطبع في كفه عن الفاحشة، وهذا كله جهل، وخروج عن آداب الشرع، فإن الله -عز وجل- أمر بغض البصر لأنه طريق إلى القلب ليسلم القلب لله -تعالى- من شائب نخاف منه، وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل إلى سباع في غيضة متشاغلة عنه لا تراه فأثارها،

---

(١) الرسالة القشيرية ص٤٣١.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢٧٦.

وحاربها، وقاومها فيا بُعْدَ سلامته من جراحه إن لم يهلك[1]».

وها هو ذا الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي يحذر المتصوفة من مخالطة الغلمان فيقول موضحاً آداب الصوفية، ومعلنا النكير على من ينتهجون هذه السبيل «وليس من شأنهم رضي الله عنهم صحبة المرد، ولا مكالمتهم، فإنه لم يكن من شأن القوم، وإنما أحدثه قومٌ فجار رجعوا إلى الطريق بمجرد الدعوى لا بالصورة، ولا بالحقيقة من أجل الأوقاف الموقوفة على أهل طريق الله تعالى بالخوانق والرباطات، وهم مفسدون كسالى عاجزون، ولا دين لهم ولا همة ولا مروءة، واتخذوا السماع عبادة ودينا، واتخذوا المرد بسوء ظنهم، وسوء ما هو عليه فلا ينبغي لمسلم أن يقتدي في هذا الزمان بهم... فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ومخالطتهم»[2].

ومن هذين النصين اللذين سقناهما من كلام الإمام ابن الجوزي، والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي نجد أن أهل الشريعة، وأهل الحقيقة يتفقون معا مع تشديد النكير على المتصوفة في صحبة الأحداث، ويرون في هذه المصاحبة خطراً داهماً يحلق التدين والتصوف جميعاً.

وجاء في رواية أثير الدين الغرناطي أن السروجي كان يكره أن يخبر أحداً باسمه ونسبه، ويعلق الصفدي على ما جاء بهذه الرواية فيقول: «قلت: لأنه كان

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢٧٧.

(١) الأمر المحكم المربوط في معرفة ما يحتاج إليه أهل طريق الله من الشروط، الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، رسالة مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ٩ مجاميع ورقة ١٢٨، نقلاً عن د. عاطف جوده نصر شعر عمر بن القارض: دراسة في فن الشعر الصوفي، دار الأندلس، بيروت، صفحة ٧٨.

يقول: لي مع الأصحاب ثلاث رتب فأول ما أجتمع بهم يقولون: الشيخ تقي الدين جاء، الشيخ تقي الدين راح، فإذا طال الأمر قالوا راح التقي، جاء التقي، صبرت عليهم، وعلمت أنهم أخذوا في الملل، فإذا قالوا: راح السروجي، جاء السروجي فذلك آخر عهدي بصحبتهم»[1].

إن الصفدي في هذا النص يحكي ما قاله السروجي نفسه في تعليل امتناعه عن إخبار الآخرين باسمه ونسبه، وهو تعليل تُشْتَمُّ منه رائحةُ الابتداع لا رائحة الاتباع لأنه يفصح عن رغبة صاحبه في الترفع والاستعلاء على أصحابه، وأهل طريق الله يتحاشون هذه الرغبة لأن من أخص صفاتهم أنهم «تواضعوا وتصاغروا وحقروا أنفسهم لموافقة السنة»[2]. وفي مروياتهم عن الحسن قال: قال رسول الله : أُوحِيَ إليَّ أن أتواضع فتواضعوا»[3]. وقد ذكر الإمام الجنيد أن تواضع الصوفية على ثلاث معان: تصغير النفس في النفس، وتصغيرها عند غيرها، وقبول الحق ممن كان يترك التعزز[4]، وهذه المعاني جميعها يضرب بها تعليل السروجي امتناعه عن إخبار الآخرين باسمه ونسبه عرض الحائط.

وقد جاء في رواية عن الشهاب محمود أن تقي الدين السروجي كان يكره النساء قال الصفدي «وقال القاضي شهاب الدين محمود: كان يكره مكاناً فيه امرأة، ومن دعاه يقول: شرطي معروف أن لا تحضر امرأة. قال: كنا يوماً في دعوة بعض الأصحاب فكان مما أحضروا شواءٌ، فأدخل إلى النساء ليقطعوه ويضعوه في

---

(١) الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤١.

(٢) كتاب أدب الملوك في بيان حقائق التصوف صفحة ٥٥.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

الصحون فكان يتبرم بذلك ويقول: أفيه الساعة يلمسونه بأيديهم»[1].

وهذه الرواية - إن صحت - كفيلة بأن تدل - هي الأخرى - على أن تصوف السروجي كان تصوفاً بدعيًّا، ولم يكن تصوفا سنيًّا، لأن ترك النكاح، وكراهة النساء من الأمور التي لم يسر عليها سلف هذه الأمة، وهو باب واسع من أبواب إبليس اللعين التي يلبس بها على بعض طوائف الصوفية كما يقول ابن الجوزي[2].

---

(١) الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤١-٣٤٢.

(٢) ينظر تلبيس إبليس صفحة ٣٠٢ وما بعدها.

الفصل الثاني
من المعاني الصوفية في شعر السَّروجي

المبحث الأول

الحال

الحال لفظ يطلق في أصل اللغة على الصفة[١]، يقال كيف حالك؟ أي صفتك، قال ابن منظور «والحال كينة الإنسان، وهو ما كان عليه من خير أو شر[٢]»، وقال: «والحال: حال الإنسان[٣]». وقال: «ويذكر ويؤنث، والجمع أحوال وأحولة[٤]».

وهو مصطلح من مصطلحات الصوفية يراد به كما يقول الإمام أبو القاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ) «معنى يرد على القلب من غير تعمد، ولا اجتلاب، ولا اكتساب، من طرب أو حزن، أو بسط أو قبض، أو شوق أو انزعاج، أو هيبة أو اهتياج[٥]».

ويدلنا هذا التعريف الصوفي للحال على صفتين من صفاته أولهما انه عبارة عن إحساس مفاجئ يعتري الإنسان في لحظة، والأخرى أنه قد يكون ايجابياً فيدفع الإنسان إلى الطرب أو البسط، وقد يكون سلبياً حيث يلجئ الإنسان إلى الانقباض، أو الانزعاج، أو التهيب.

ويمضي الإمام القشيري في حديثه فيقول إن المتصوفة قد انقسموا بعد

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢/ ١١٧.

(٢) لسان العرب ٢/ ١٠٥٧.

(٣) لسان العرب ٢/ ١٠٥٩.

(٤) السابق ٢/ ١٠٥٧.

(٥) الرسالة القشيرية، ص٥٧.

اتفاقهم على هذا التعريف إلى فريقين: فريق يرى أن الحال ليس من صفاته الثبات بعد الطروء، وفريق آخر يقول ببقاء الأحوال ودوامها[١].

ويشير القشيري -أيضاً- إلى أن القائلين بدوام الأحوال وبقائها يطلقون على ما تغير منها اسم اللوائح أو البواده، وهذه اللوائح والبواده لا يصل صاحبها في رأيهم إلى الأحوال إلا إذا دامت عنده «فعند ذلك تسمى حالاً[٢]».

والحال غير المقام عند القشيري لأنه يرى الحال معني يرد على القلب بمحض الموهبة[٣]، أما المقام فأمر «يتوصل إليه نبوع تصرف، ويتحقق بضرب تطلب، ومقاساة تكلف[٤]».

ومن المتصوفة من يرى أن الحال يبدأ معنى طارئاً على القلب ثم يستحيل بالبقاء والمكث إلى مقام ومن هؤلاء الإمام عبد الرازق الكاشاني[٥].

ويذكر التهانوي أن الأحوال قد سميت بهذا الاسم «لحول العبد بها من الرسوم الخلقية، ودركات البعد إلى الصفات الحقية، ودرجات القرب[٦]».

وقد ورد هذا اللفظ في شعر السّروجي ست مرات في ثلاث مقطوعات، يقول من أبيات[٧]:

---

(١) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) معجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرازق الكاشاني، تحقيق الدكتور عبد الخالق محمود، ص٧١.

(٤) الرسالة القشيرية، ص٥٦.

(٥) معجم اصطلاحات الصوفية، ص٧١.

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٢٠.

(٧) فوات الوفيات ٢/ ٣١، والنص رقم٣ من مجموعنا هذا بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

سألت طبيب الحيِّ ماذا دواؤه ∴ فرق لحالي نظرة إذ سألته
أراني إذا أبصرت شخصك مقبلاً ∴ تغيَّر مني الحالُ عما عَهِدْتُهُ
وقال جليسي ما لوجهك أصفراً ∴ فقلت له بالرغم مني صبغته

ويقول[1]:

ندعي ومن حالي من الوجد حاله ∴ ومن هو مثلي عن مناه بعيد
أعد ذكر من أهوى فإني مدرسٌ ∴ لذكراه من شوقي وأنت معيد

ويقول[2]:

سألتك وقفة قدر التشاكي ∴ أبث إليك ما بي من هواك
ونظرة مشفق في حال صبٍّ ∴ لرحمة حاله تبكي البواكي

ويفهم من وروده في شعره أن الحال التي كانت تطرأ عليه غب رؤية المحبوب، أو ترديد اسمه كانت حالاً سلبية تورثه حزناً وضعفاً، وخوفاً واهتياجاً وهيبة، وأنه كان –في سعيه الحثيث طلباً للبرء من علاماتها الظاهرة– يسأل عنها طبيب الحي الذي هو الشيخ أو الأستاذ كما يشي بذلك السياق، لكنه يعود بخفي حنين، إنه لا يجد عند الطبيب/ الشيخ دواءً شافياً، ومن ثم يظل على ما هو عليه من حال، ويهرع إلى النديم/ الساقي، وإلى من في مجلسه من المولهين المعذبين، وإلى كل ذي كبد مقروحة من الوجد، ونفس ملتاعة من الشوق، إنه

---

(١) فوات الوفيات ٢/ ٢٠١، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٧ والنص رقم٧ من مجموعنا هذا بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٢) تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤٢، وعقد الجمان لبدر الدين العيني ٣/ ٢٥١، والنص رقم١٤ من مجموعنا هذا بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

يهرع إلى هؤلاء لا ليدفع بالائتناس بهم ما يشعر به من وحشة، ولا ليغيب معهم عما يكابد من تباريح الغرام، وإنما ليطلب منهم أن يرددوا على المسامع ذكر محبوبه، وهو مطلب له ما يبرره في أدب الاستغاثة والاستصراخ، لأن الشاعر ملوم على ما وصل إليه حاله، ولقد حاول أن يفهم لائميه أنه عاشق متيَّم، قد شفه الهوى، وأسقمه الجوى، ولكن يبدو أنهم كانوا لتحجر عقولهم وأفئدتهم بحاجة إلى من يبدئ ويعيد في شرح هذا المعنى لهم حتى يكفوا عن اللوم، لذا لجأ إلى ما لجأ إليه من استصراخ النديم والمحبين.

وتفصح المجموعة الثالثة عن سبيل أخرى من السبل التي يطلب بها السّروجي لنفسه البرء من علل الهوى وتتمثل فيما يقوم به من استيقاف المحبوبة بغية بث شكواه، وسؤال المرحمة والشفقة.

والملاحظ من النصوص الثلاثة السابقة أن الشاعر لا يتغزل في محبوب بعينه، وإنما يتغزل في المحبوب بصفة عامة، ولقد جاء هذا المحبوب مذكراً في المقطوعتين الأولى والثانية، وجاء مؤنثاً في المقطوعة الثالثة، وهذا بدوره يشي بأن صاحبنا إما أن يكون متأثرا في غزله الصوفي بنظرية التجلي والشهود، وإما أن يكون حلوليًّا، وإما أن يكون متشبهاً بالصوفية يقصد الفسق لا غير.

ويبدو تأثره بنظرية التجلي والشهود في أبيات المقطوعة الأولى واضحاً جليًّا ففي البيت الثاني من أبياتها لا تخطئ العين دلالة الفعل (أبصرت)، إن الإبصار عند المتصوفة لا يكون بالجارحة المعروفة / العين، وإنما هو عملٌ من أعمال القلوب ترى به حقائق الأشياء وبواطنها[1]، ومن ثَمَّ فهو عملٌ يؤدي إلى

(١) معجم اصطلاحات الصوفية ص ٥٤، ٥٥.

الإدراك الحقيقي لكنه الشيء المبصر، والمبصر هو شخص المحبوب في حال إقباله على الحبيب، ولا تخطئ العين – أيضاً – دلالة التشخيص والإقبال في هذا السياق، إن التشخيص ها هنا يدل على التجلي، وإن الإقبال ها هنا يدل على المشاهدة، وحينئذ يكون منطقياً أن تتغير حال السروجي غب رؤية المحبوب من الطرب والبسط إلى ما يقابلها من التهيُّب والخوف، ويصفرُّ وجهه من الانزعاج والقبض عند رؤية الحق بالحق كما يدعون.

ومن الممكن أن تدل المقطوعات الثلاثة على أن السروجي كان حلوليًا، والحلولية ينقسمون إلى طائفتين كبيرتين أولاهما تلك التي تزعم أنّ الله – تعالى – اصطفى أجسامًا حلَّ فيها بمعاني الربوبية(1)، والأخرى هي التي تستبيح النظر إلى وجوه الرجال والنساء، ولا ترى فيه حرجاً، وتعرض تأوهها وبكاءها ونواحها وعشقها على الناس وهي تشقُّ جيوبها، وتلقي بعمائمها على الأرض مع الغناء والرقص(2)، وتشي النصوص السابقة بأن تقي الدين السروجي ربما كان ينتمي إلى هذه الطائفة الثانية من الحلولية.

ومن الممكن أن نأخذ هذه النصوص بالظاهر فلا نرى فيها سوى لونين من ألوان الغزل أولهما الغزل بالمذكر وهو الموضوع الشعري المسيطر على المقطوعة الأولى، والآخر الغزل العفيف وهو موضوع المقطوعة الثالثة الشعري.

---

(1) تلبيس إبليس ص ٢٧٢.

(2) كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٠٨، ١٠٩.

المبحث الثاني

المحبة

الحب في اللغة نقيض البغض، والمحبة اسم للحب، ويحاول الإمام القشيري أن يجد تفسيراً لتسمية الحب بهذا الاسم فيرى أنه من الممكن أن يكون مأخوذاً من:

١- الحَبَبْ الذي هو صفاء الأسنان، وشدة بياضها، ويرى أن ثمة علاقة بين هذا المعنى الحسي ومعنى الحب، لأن الحب اسم دالٌّ على صفاء المودة.

٢- الحبَاب وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد، ويرى أن الصلة بين الحباب والحب تكمن في أن في الحباب دليلاً على هيجان الماء واضطرابه، والحب من دلائله غليان القلب وثورانه، واهتياجه إلى لقاء المحبوب.

٣- الحِبّ هو القُرْطُ، وقد سمي القرط حبا للزومه للأذن، ولحركته ولعدم ثباته أسفلها ويذكر القشيري أن الحب كالقرط في هذين الأمرين لأنه إحساس يستقر في القلب، ويجعل صاحبه قلقا.

٤- أَحَبَّ البعير بمعنى برك ولم يقم، وبروك البعير - في تصوري - تصرف دالٌّ على ما يشعر به من الألم والتعب، وما يرغب فيه من الإناحة والاستقرار، والحب إحساسٌ إذا غزا قلبا استقر به، وأورث صاحبه كمداً، وضنى، ونحولاً.

٥- الحَبّ جمع حَبَّة يقول القشيري «وحبة القلب ما به قوامه»[1] وعلى هذا يكون الحب قد سمي باسم المكان الذي يحل فيه.

٦- الحُب، وهي الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرة، وفي تصوري أن

---

(١) الرسالة القشيرية صفحة ٣٢٠.

العلاقة بينها وبين الحب تكمن في أن هذه الخشبات الأربع ينزل عليها ما يسيل على جانبي الجرة من الماء، وتحتمل ثقل الجرة في حال امتلائها،والحب يجعل المحب دائماً متأهبا لتحمل آلام المحبوب، ومستعداً لافتدائه بنفسه وروحه.

٧- الحَبّ جمع حَبّة، وهو البذر جمع بذرة، ويرى القشيري أن الصلة بينهما تكمن في أن الحب هو لباب البنات الذي لا حياة للإنسان والحيوان بدونه، والحب هو لباب الحياة إذ لا معنى لها بغيره[١].

ويذكر الإمام القشيري أن المحبة تنقسم إلى قسمين كبيرين هما محبة الله تعالى للعبد، ومحبة العبد لله تعالى، أما محبة الله تعالى للعبد فهي عند القشيري بمعنى إرادة الله تعالى عبده لإنعام مخصوص عليه، يقول القشيري شارحاً الفارق الجوهري بين رحمة الله تعالى بعبده، ومحبة الله تعالى لعبده «فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى عبده الثواب وتسمى رحمة، وإرادته لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية وتسمى محبة، فإرادة الله سبحانه صفة واحدة، فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها، فإن تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة»[٢].

ويقدم القشيري تعريفاً لمحبة العبد لله فيقول: «أما محبة العبد لله فحالة يجدها من قلبه، تلطف عن العبارة، وقد تحمله تلك الحالة على تعظيمه، وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه، والاهتياج إليه، وعدم القرار من دونه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه»[٣].

---

(١) السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) الرسالة القشيرية صفحة ٣١٩.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها .

ومن قبل القشيري بنحو قرنين من الزمان قدم الحارث بن أسد المحاسبي ت ٢٤٣هـ تعريفاً للمحبة قال فيه «المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه»[١].

وفي أخريات القرن الثالث الهجري نجد الإمام أبا القاسم الجنيد بن محمد ت ٢٩٧هـ يعرف المحبة بقوله: «المحبة دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب»[٢] وقوله: «المحبة إفراط الميل بلا نيل»[٣].

والناظر في هذه التعريفات الاصطلاحية للمحبة يجدها تتوافق توافقاً تاماً مع ما تدل عليه الأصول اللغوية التي يعزي إليها لفظ الحب.

فتعريف القشيري للمحبة يوحي بأمرين: أولهما أن المحبة إحساس لا يوصف، وإنما يشعر بحلاوته من رزقه أو ذاقه، والآخر أن ثمة لونين لمحبة العبد لله تعالى هما: المحبة الصادقة، وادعاء المحبة، والمحبة الصادقة هي التي تدفع المحب إلى الاهتياج إلى لقاء المحبوب، والائتناس به، والعمل على مرضاته، وإيثار طاعته، ولزوم أوامره، واجتناب نواهيه. أما ذلك الذي لا يشعر بهذه الأحاسيس فهو عند القشيري مُدَّعٍ للمحبة وليس محبا صادقا.

ويدل تعريف الحارث بن أسد المحاسبي على أن المحبة تبدأ ميلاً عاطفياً، وجنوحا وجدانياً، ثم تستحيل بالبقاء والمكث إلى هوى يحمل صاحبه على إيثار رغبات المحبوب على رغبات نفسه، ثم يتحول هذا الهوى إلى موافقة تامة،

---

(١) الرسالة القشيرية صفحة ٣٢٤.

(٢) الرسالة القشيرية صفحة ٣٢١.

(٣) الرسالة القشيرية صفحة ٣٢٣.

وذوبان كامل في إرادة المحبوب وهواه مع لوم المحب نفسه باستمرار لما يشعر به من التقصير في حق المحبوب.

ومن ثمّ يكون ابتداء المحبة بالميل، ثم يأتي من بعده الهوى، ثم تأتي من بعده الموافقة، وترتيب الحارث بن أسد لمراتب المحبة على هذا النحو يغاير ترتيب التهانوي لهذه المراتب حيث جعل التهانوي الموافقة أولها، وجعل من بعدها الهوى، ثم جعل من بعده المحبة.

ويسير تعريف الإمام الجنيد في السبيل نفسه الذي سار فيه تعريف الإمام القشيري، وتعريف الحارث بن أسد، غير أنه يضيف إليهما إضافة ذات بال، وهي أن المحب الصادق لا يطمع في أن ينال شيئاً من المحبوب، وإنما يقتنع برؤيته، والائتناس به لا غير.

وتفضي هذه التعريفات جميعها إلى أن المحب يجب أن يكون في صفاء مودته ونقائها كالحب، وفي لزومه للمحبوب، وعدم انفكاكه عنه كالقُرْطِ في لزومه الأذن، وعدم انفكاكه عنها، وفي تحمله آلام المحبوب كتلك الخشبات الأربع التي تتحمل كل ما فوقها من الجرات.

ويعرف المحب الصادق بثلاثة أمور:

أولها: الفناء في المحبوب يقول أبو عبد الله القرشي «حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت لا يبقى لك منك شيء»[1].

وثانيها: نسيان حظ نفسه من الدنيا، وعدم تعلقه بشيء من متاعها الفاني، وأن لا يطلب من المولى - عزّ وجلّ - شيئاً من النعم، وإنما يرضى بما قدر له من

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٣٢١.

ابتلاءات قال أبو يعقوب السوسي «حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله عز وجل، وينسى حوائجه إليه»[1].

وثالثها: الثبات على المحبة في حالتي الوصل والهجر، قال يحيي بن معاذ «حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء، ولا يزيد بالبر»[2].

ولقد ورد الجذر المعجمي (حبب) ستاً وعشرين مرة فيما تبقى من شعر تقي الدين السروجي وموشحاته يقول من قصيدة يخاطب المحبوب:

يا من شُغِلْتُ بحبه عن غيره ... وسَلَوْتُ كُلَّ الناس حين عشقْتُهُ[3]

ففي هذا البيت ورد لفظ الحب مضافا إلى ضمير الغائب (هو) الدال على المحبوب أو المولى عز وجل، والشاعر في معرض مناجاة محبوبه يذكر أنه قد فنى في حبه، ولم يعد في قلبه مكان لحب أحد من بني البشر، وغنى عن البيان أن انشغال المحب بالمحبوب شرط من شروط المحبة الصوفية الصادقة، ولقد عبر عن هذا المعنى غير واحدٍ من كبار المتصوفة يقول سمنون المحب ت ٢٩٨هـ في معرض مناجاة محبوبه:[4]

شَغَلْتَ قلبي عن الدنيا ولذتها ∴ فأنت والقلبُ شيءٌ غير مفترقِ

وما تطابقت الأحداقُ من سِنَةٍ ∴ إلا وجدتكَ بين الجفنِ والحدقِ

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٣٢٢.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٣٢٢.

(٣) تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤١، وفوات الوفيات ٢/ ١٩٧، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٢، والنص رقم ٤ من مجموعنا بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٤) نقلا عن شعر الصوفية المجهولون للدكتور يوسف زيدان، نشر أخبار اليوم صفحة ١٥.

ويقول[1]:

وكان فؤادي خاليًا قبل حبِّكم ∴ وكان بذكرِ الخلق يلهو ويمرحُ
فلما دعا قلبي هواك أجابه ∴ فلستُ أراه عن فنائك يبرح
رُميتُ ببين منك إن كنتُ كاذبًا ∴ وإن كنتُ في الدنيا بغيرك أفرحُ
وإن كان شيءٌ في البلاد بأسرها ∴ إذا غبتَ عن عيني بعيني يَمْلُحُ

ويقول نجم الدين محمد بن إسرائيل ت ٦٧٧ هـ مناجياً محبوبه أيضاً:

وشغلتم كلي بكم جوارحي ∴ وجوانحي أبداً تحنُّ إليكمُ[2]

ويقول عبد الهادي السودي ت ٩٣٢هـ[3] مخاطبا المحبوب:

هيهات لي شغل بكم عن ذا وذا ∴ وبكم عليكم في الهوى أذلالنا

ويتحدث السروجي عن كتمان المحبة، وضرورة صون سرها عن الذيوع في غير أهلها فيقول[4]:

وأحبكم فأشيع ذكر سواكمُ ∴ إذ كنت من حذر عليكم مشفقا

إن السروجي يدرك أن للحب علامات تظهر على المحب، ومن ثم يصبح حاله معروفاً، ويظل الأصحاب يلاحقونه بالسؤال عن المحبوب، ويعمد هو إلى التعمية عليهم، وذلك بأن يشيع فيهم اسم محبوب آخر سوى المحبوب الحقيقي

---

(١) نقلا عن نفحات الأنس من حضرات القدس لعبد الرحمن الجامي ص ٣٣٥.

(٢) نقلا عن شعراء الصوفية المجهولون للدكتور يوسف زيدان ص ٧٢.

(٣) نقلا عن شعراء الصوفية المجهولون ص ١١٩.

(٤) تاريخ ابن الجزري ١/ ٣٤٣، وفوات الوفيات ٢/ ٢٠٢، والنص رقم ١٢ من مجموعنا هذا وهو بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

الذي هام به عشقاً، وذلك ليظل حبه خالصاً من الرياء، ولعل إدراك السروجي هذه الحقيقة هو ما حدا به إلى أن يشيع في أصحابه أنه يحب وجيهاً من وجهاء قومه، ويحب خادمه الذي اسمه محسن يقول[1]:

أفدي رئيسا كل فعل له ∴ يحبه العبد ويرضاه
ومثله خادمه محسن ∴ والعبد من طينة مولاه

وفي تصوري أن إشاعة السروجي في أصحابه حبه هذا الرئيس وخادمه قد شغلت أذهانهم وصرفتها عن محاولة التعرف على المحبوب الحقيقي، الذي تعلق قلب صاحبنا به.

وكتمان المحبة، وصون سرها من الذيوع في غير أهلها ليس سلوكاً ابتدعه السروجي من ذات نفسه، وإنما هو مهيع صوفي مبتدع منذ كان التصوف، ومنذ عرف المتصوفة فلقد روي القشيري أن عبد الواحد بن زيد نظر إلى غلام من أصحابه قد نحل بدنه فقال: أتديم الصوم يا غلام؟ فقال الغلام: لا، ولا أديم الإفطار، فقال له عبد الواحد: أتديم القيام بالليل؟ فقال الغلام: ولا أديم النوم، فقال له عبد الواحد: ما الذي أنحلك؟ قال الغلام: هوى دائم، وكتمان دائم عليه[2].

وفي كتمان المحبة يقول أبو علي الروذباري المتوفى ٣٢٢هـ[3]:

بك كتمان وجده بك عنه ∴ لك منه وعنه ما لك منه

---

(١) فوات الوفيات ٢/ ٢٠٢، والنص رقم ٢٢ من مجموعنا هذا وهو بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٢١٢.

(٣) نقلا عن شعراء الصوفية المجهولون ص ٢٦.

يا فتى الحب، بل فتى الحق سِرِّي ∴ عنـــه مـــستودع لـــديك فـــصنه

ويقودنا الحديث عن كتمان المحبة إلى الحديث عن افتداء المحبوب، وذلك لأن المتصوفة يرون أن المحب الصادق هو الذي يتحمل ذل المحبوب، ويرضى منه بالهجر كما يرضى منه بالوصل، ويرضى منه بالجفاء كما يرضى منه بالوفاء، وفي هذا المعنى يقول تقي الدين السروجي موجها الخطاب إلى المحبوب[1]:

فديتك محبوباً على السخط والرضا ∴ وعذرك مقبـول عـلى الغـدر والوفـا

ولقد شاع الحديث عن افتداء المحبوب في التراث الشعري الصوفي فها هو ذا سمنون المحب يناجي محبوبه فيقول[2]:

أفديك، بل قلَّ أن يفديك ذو دنف ∴ هل في المذلة للمشتاق مـن عـار

وها هو ذا ابن الخيمي المتوفى ٦٨٥هـ يتحدث عن افتداء المحبوب فيقول[3]:

فداؤه ما جرى في الدمع من مهج ∴ وما جرى في سبيل الحب محتسب

ويدرك السروجي قيمة الصدق وأثره في توثيق عرى المحبة، وفي الوصول بالمحب إلى مقام الرضا يقول السروجي[4]:

دنيـا المحـب ودينـه أحبابـه ∴ فـإذا جفـوه تقطعـت أسـبابه

---

(١) تاريخ ابن الجزرى ١/ ٣٤٤، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣٤٣، وفوات الوفيات ٢/ ١٩٨، والنص رقم ١١ من مجموعنا هذا بالفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٢) نقلا عن شعراء الصوفية المجهولون للدكتور يوسف زيدان ص١٣.

(٣) نقلا عن شعراء الصوفية المجهولون ص٩٦.

(٤) تاريخ ابن الجزرى ١/ ٣٤٣، والوافى بالوفيات ١٧/ ٣٤٣، وفوات الوفيات ٢/ ١٩٨، والنص رقم ٢ من مجموعنا بالفصل الثالث من فصول هذا الكتاب.

وإذا أتــاهم في المحبــة صــادقاً ∴ كشف الحجـاب لـه وعـز خبابـه

ويقول[1]:

كم صال في ميدان حبك فـارسٌ ∴ بالصدق فيك إلى رضـاك سبقته

ولسنا نستطيع في هذا الحيز المحدود أن نتتبع كل المواطن التي ورد فيها الجذر المعجمي حبب ومشتقاته، وأظن أن ما مضى من حديث كافٍ في الدلالة على شيوعه في شعره بما يحمل من دلالات صوفية.

(١) تاريخ ابن الجزرى ١/ ٣٤١، وفوات الوفيات ٢/ ١٩٧ والوافى بالوفيات ١٧ ص٣٤٢ والنص رقم ٤ من مجموعنا هذا بالفصل الثالث من فصول هذا الكتاب.

الفصل الثالث
ما تبقَّى من شعره وموشحاته
في مصادر الأدب وكتب التراجم
جمع وتحقيق

المبحث الأول

ما تبقى من نصوص شعره في مصادر الأدب وكتب التراجم

جمع وتحقيق

قافيـة الباء

[١]

قـال تقي الدين السروجي: [من الطويل]

١- تَفَقَّهْتُ في عِشْقِي لِمَنْ قَدْ هَوِيْتُهُ ∴ ولي فيـه بـالتحرير قَـوْلٌ ومَـذْهَبُ

٢- وللعينِ تَنْبيهٌ[١] بِهِ طال شَرْحُـهُ ∴ وللقَلْبِ مِنْـهُ صِـدْقُ وَدٍّ مُهَذَّبُ[٢]

التخريج:

١ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٦.

٢ - فوات الوفيات ٢/ ٢٠٠.

[٢]

وقـال: [من الكامل]

١- دنيـا المحـبِّ ودينُـهُ أحبابُـهُ ∴ فـإذا جَفَـوْهُ تَقَطَّعَـتْ أسـبابُهُ

٢- وَإذَا أتـاهم في المحبَّـةِ صادِقاً ∴ كُشِفَ الحجابُ لـه وعزَّ جَنابُـهُ

٣- ومتـى سَقَوْهُ شَرَابَ أُنْسٍ منهمُ ∴ رقَّـتْ معانيـه وراقَ شرابُـهُ

---

(١) التنبيه كتاب من كتب فقه الشافعية لأبى إسحاق إبراهيم الشيرازى المتوفى ٤٧٦هـ

(٢) المهذب كتاب من كتب فقه الشافعية لأبى إسحاق إبراهيم الشيرازى أيضا

٤- وإذا تَهتَّــكَ لا يُــلامُ لأنَّـهُ ∴ سكرانُ عِشْقٍ لا يُفِيْدُ عِتَابُهُ

٥- بَعثَ السَّلامَ مع النسيم رسالةً ∴ فأتاهُ في طيِّ النسيم جوابُهُ

٦- قَصْدَ الحِمَى وأتاه يَجْهَدُ[1] في السُّرَى ∴ حتَّى بَدَتْ أعلامُهُ وقِبابُهُ

٧- وأرى لليلى العامِرِيَّةِ منزلاً ∴ بالجودِ يُعْرَفُ والنَّدَى أصحابُهُ

٨- فيه الأمانُ لِمَنْ يخافُ مِنَ الرَّدَى ∴ والخيرُ قد ظَفِرَتْ به طُلاَّبُهُ

٩- قد أُشْرِعَتْ بيضُ الصَّوارِمِ والقنا ∴ مِنْ حَوْلِهِ فهو المنيعُ حِجَابُهُ[2]

١٠- وعلى حماه جلالةٌ مِنْ أَهْلِهِ ∴ فلذاكَ طارِقَةُ العيونِ تهابُهُ

١١- كم قُلِّبَتْ فيه القلوبُ على الثرى ∴ شوقاً إليه وقُبِّلَتْ أعتابُهُ[3]

١٢- قد أخضبت منه الأباطحُ والرُّبى ∴ للزائرين وفُتِّحَتْ أبوابُهُ

التخريج:

١ - تاريخ ابن الجزري المسمى تاريخ حوادث الزمان وأنبائه، ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ١/ ٢٤٣.

٢ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٣.

٣ - فوات الوفيات ٢/ ١٩٨.

٤ - عقد الجمان لبدر الدين العيني ٣/ ٢٥١.

٥ - والأبيات بدءًا من البيت السابع في الغيث المسجم ١/ ٣٦٩.

---

(١) في تاريخ ابن الجزري بجهد، والصواب كما في فوات الوفيات.

(٢) في عقد الجمان: جنابه.

(٣) البيت الحادي عشر ليس في عقد الجمان.

قافيــة التاء

[٣]

قــال: [من الطويل]

١- سأودِعُكَ السِّرّ الـذي قـد كَتَمْتُـهُ ∴ وَأُعْلِنُـكَ الأَمْـرَ الـذي قَـدْ عَلِمْتُـهُ
٢- وَأُفْهِمُكَ المعنى اللَّطِيْفَ مِنْ الهوى ∴ وَأَشْرَحُـهُ حتَّـى تَقُـولَ فَهِمْتُـهُ
٣- فعندي حديثٌ مِنْكَ سوف أقولُـهُ ∴ إذا مـا خلونـا سـاعةَ الوَصْلِ قُلْتُـهُ
٤- وَتقْرَأُ مِـنْ شَـوْقِي كتابـاً مترجمـاً ∴ بـدمعي عـلى خـدي إليـك كَتَبْتُـهُ
٥- بي منـك داءٌ أَصْـلُهُ كـان نظـرةً ∴ عَدِمْتُ اصطباري عَنْكَ لَمَّـا وَجَدْتُـهُ
٦- سَـأَلْتُ طَبِيْب الحـيِّ مـاذا دواؤُهُ ∴ فَـرَقَّ لحـالي نظـرةً إِذْ سَـأَلْتُهُ
٧- أراني إذا أَبْصَرْتُ شَخْصَكَ مُقْبِلاً ∴ تَغَـيّرَ منـي الحـالُ عـما عهدتُـهُ
٨- وقال جليسي ما لِوَجْهِـكَ أَصْفَراً ∴ فقلـتُ لـه بـالرَغْم مِنِّـي صَبَغْتُهُ
٩- وَمَـدَّ إلى قلبـي يـداً وهـو خـافِقٌ ∴ فَغَالَطْتُـهُ عَنْـهُ وقلـتُ فَقَدْتُـهُ
١٠- وقـال لِمَـنْ تَهْـوَى فقلـتُ أهابُـهُ ∴ ويـشرقُني دَمْعِـي إذا مـا ذَكَرْتُـهُ

التخريج:

١ - الأبيات من ١-٦ في تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤٤.

٢ - فوات الوفيات ٢/ ٢٠٢ - ٢٠٣.

٣ - والأبيات كلها ما عدا البيت السادس في تأهيل الغريب للنواجي صفحة ١٨٩.

[٤]

وقال: [من الكامل]

١ - أَنْعِـم بوَصْـلِكَ لي فهـذا وَقْتُـهُ ∴ يَكْفِي مِـنَ الهجـرانِ مـا قـد ذُقْتُـهُ
٢ - أَنْفَقْتَ عُمْري في هـواك وَلَيْتَني ∴ أُعْطَـي أُصُـولاً[(١)] بالـذي أَنْفَقْتُـهُ
٣ - يا مَـنْ شُـغُلْتُ بحبِّـه عـن غـيرِهِ ∴ وَسَلَوْتُ كُلَّ النَّاسِ حـين عـشقْتُهُ
٤ - كَمْ جَالَ في مَيْدَانِ حُبِّـكَ فـارسٌ ∴ بالصِّدْقِ فيك إلى رضاك سَبقْتُهُ[(٢)]
٥ - أنت الذي جَمَعَ المحاسِـنَ وَجْهُـهُ ∴ لكـن عليـه تـصبُّرِي فَرَّقْتُـهُ[(٣)]
٦ - قال الوشاةُ قد ادعـي بـك نـسبة ∴ فَـسُرِرْتُ لَمَّـا قَلـتَ قَـدْ صَـدَّقْتُهُ
٧ - بـالله إِنْ سـألوك عنـي قُـلْ لهـم ∴ أدري بـذا، وأنـا الـذي شَـوَّقْتُهُ
٨ - أو قيل مـشتاقٌ إليـك فقـل لهـم ∴ عبدي ومِلْـكُ يـدي ومـا أعْتَقْتُـهُ
٩ - يا حسنَ طَيْفٍ من خيالِـكَ زارني ∴ مـن فرحتـي بلقـاه مـا حقّقْتُـهُ
١٠ - فمضى وفي قلبـي عليـه حـسرةٌ ∴ لـو كـان يمكِنُنـي الرقـادُ لَحِقْتُـهُ

التخريج:

١ - تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤١ - ٢٤٢.

٢ - فوات الوفيات ٢/ ١٩٧.

---

(١) بهامش ٣ من ص ٢٤١ كتب المحقق تعليقاً على كلمة «أصولاً» ما يلي كتب على الهامش «وصولا». وأقول هي كذلك وصولا في فوات الوفيات، وفي تأهيل الغريب، وفي ديوان الصبابة.

(٢) في ديوان الصبابة: بالصبر مني في هواك سبقْتُهُ.

(٣) في فوات الوفيات - أنفقْتُهُ.

٣ – الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٢.

٤ – الأبيات ما عدا ٧، ٨، ٩ بتأهيل الغريب للنواجي ص ٢٠١.

٥ – خزانة الأدب لابن حجة الحموي ١/ ٤٣١.

٦ – ديوان الصبابة لابن أبي حجلة التلمساني ١٤٣ – ١٤٤.

[٥]

وقـال: [من الطويل]

١- خَدَمْتُ بِذاكَ(١) الوجْهِ للثَّغْرِ نـاظِراً ∴ لعـلِّي أُمَسَّى واليـاً مِـنْ وُلاَتِـهِ

٢- وأصلُ حِسَابي ضَبْطُ حَاصِلِ وَصْلِهِ ∴ وتقبيلُـهُ مـستخرجٌ مِـنْ جهاتِـهِ

التخريج:

١ – الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٧.

٢ – فوات الوفيات ٢/ ٢٠١.

قافيــة الدال

[٦]

وقـال: [من الطويل]

١-أرى المـشْتَهَى (٢) في رَوْضَـةِ الحُـسْنِ قَـدْ بَـدَا

عـلى رَصَـدِ المعـشوقِ فالقلـبُ واجِـدُ

٢-وَحَقِّـكَ مـا الـسَّبْعُ الوُجُـوهُ إذا بَـدَتْ

بِمُغْنِيَـةٍ عَـنْ وَجْهِـهِ وَهْـوَ وَاحِـدُ

---

(١) في فوات الوفيات: لذاك.

(٢) في فوات الوفيات: المشترى.

التخريج:

١ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٦ - ٣٤٧.

٢ - فوات الوفيات ٢/ ٢٠١.

[٧]

[من الطويل]

وقال:

١ - نديمي وَمَنْ حالي مِنَ الوَجْدِ حَالُـهُ ∴ وَمَنْ هـو مِـثْلي عـن مُنَاهُ بَعِيْـدُ

٢ - أَعِدْ ذِكْرَ مَـنْ أَهْـوَى فَـإِنِّي مُـدَرِّسٌ ∴ لِذِكْرَاهُ مِنْ شَـوْقِي وأنـت مُعِيْـدُ

التخريج:

١ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٧.

٢ - فوات الوفيات ٢/ ٢٠١.

قافيــة الراء

[٨]

[من السريع]

وقال:

١ - عايَنْـــتُ في بـــارحتي زفـــةً ∴ قَـضَّيْتُ فيهـا كُـلَّ أوطـارِي

٢ - وشمعُها مثلُ نجومِ الدُّجَى ∴ محيطـــةً بـــالقُمَرِ الــسارِي

٣ - مازلـتُ مُـذْ عاينتُهـا قـائِلاً ∴ يـــا ليتُهـــا كانـــتْ إلى دارِي

التخريج:

- فوات الوفيات ٢/ ٢٠٣.

[٩]

وقـال: [من السريع]

١- مَـدَّ لي مَـنْ أُحِـبُّ حَبْـلَ صُـدُودٍ ∴ حَيْنَ أَوْهَـى تَجَلُّـدِي واصْـطِبَارِي

٢- ثـم قـال امـشِ لي عليـه سريعـاً ∴ كيـف أمـشي ومـا أنـا باخْتيـارِي

التخريج:

١ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٦.

٢ - فوات الوفيات ٢/ ٢٠١.

قافيــة العين

[١٠]

وقـال: [من الطويل]

١- إلهي بَجمْعِ[١] الشَّمْلِ مِمَّـن أُحِبُّـهُ ∴ دَعَوْتُـكَ ملهوفـاً وأنـت سميعُ

٢- فلم تبق[٢] لي مما تَشَوَّقْتُ مهجـةٌ ∴ ولم يَبْـقَ لي ممَّـا بَكَيْـتُ دُمُـوعُ

التخريج:

١ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٧.

٢ - فوات الوفيات ٢/ ٢٠١ - ٢٠٢.

---

(١) في فوات الوفيات: ألاهل لجمع الشمل.

(٢) في الوافي، وفي فوات الوفيات: فلم يبق، وقد كتبتها بالتاء لمراعاة تأنيث الفعل مع الفاعل.

قافيــة الفاء

[١١]

وقــال: [من الطويل]

١- مُعَامَلَـةُ الأحبـابِ بالوصـل والوفـا ∴ فَدَعْ يا حبيبي عنك ذا الهَجْر والجَفَا

٢- فَـإِنْ كـان لي ذَنْـبٌ بِجَهْـلِي فَعَلْتُـهُ ∴ فَمِثْلِيَ مَـنَ أَخْطـا وَمِثْلُـكَ مَـنْ عَفَـا

٣- أَيَـا بَـدْرَتَمٍّ حَـانَ مِنْـهُ طلوعُـهُ ∴ ويـا غُـصْنَ بـانِ آن أَنْ يَتَعَطَّفَـا

٤- كفى ما جرى مِنْ دَمْعِ عَيْنِي بالبُكـا ∴ وَعِشْقِي على قَلْبِي جَرَى مِنْهُ ما كفَى

٥- فإنْ كُنْتُ لا تدري ولا تعرفُ الهوى[١] ∴ فَقَـصْدِيَ أَنْ تَـدْرِي بـذاكَ وَتَعْرِفَـا

٦- أَعِـدْ ذلـك الفِعْـلَ الجَمِيْـلَ تجَمُّـلاً ∴ وَإِنْ لَمْ يَكُـنْ طَبْعـاً يكـونُ تَكَلُّفَـا

٧- فـما أَقْبَحَ الإِعْـرَاضَ مِمَّـنْ تُحِبُّـهُ ∴ وَمَـا أَحْسَنَ الإقبـال مِنْـكَ وَأَلْطَفَـا

٨- تَقَـدَّمَ شـوقي يَـسْبِقُ الـدَّمْعَ جارِيـاً ∴ إليـك ولكـنْ عنـكَ صبري تَخَلَّفَـا

٩- فَدَيْتُكَ محبوباً على الـسُّخْطِ والرِّضَـا ∴ وَعُذْرُكَ مقبولٌ علـى الغَـدْرِ والوَفَـا

التخريج:

١ - تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤٤.

٢ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٣-٣٤٤.

٣ - فوات الوفيات ٢/ ١٩٨.

---

(١) في فوات الوفيات وتعرف ما الهوى.

قافيـة القاف

[١٢]

وقـال: [من الكامل]

١- يـا مرحبـاً بقـدوم جـيران النقـا ∴ كَمُلَ السُّرورُ بهم وعزَّ[١] الملتقَـى
٢- أَنِسَتْ بِقُـرْبِهِمُ المنازلُ واغْتَـدَى ∴ وَجْـهُ الوجـود بهـم منيراً مشرقاً
٣- وَلِطِيْبِ نَـشْرِهِم تَعَطَّـرَتِ الـصبا ∴ وَأَرَى عـلى الـدُّنيا لـذلك رونَقَـا
٤- فَـتَهَنَّ يـا قلبـي بهـم ولطالمـا[٢] ∴ قـد بِـتَّ نحـوهُمُ كئيبـاً شـيِّقَا
٥- يا ناظري ولك البشارة زال[٣] مـا ∴ أبكـاكَ مـن ألم الرقـادِ وأرَّقـا
٦- فَلِمِثْلِ هـذا اليـومِ كُنْتَ مُـؤَمِّلاً ∴ وإليـه كُنْـتَ عـلى المـدى مُتَشَوِّقَا
٧- يـا جـيرة صَـفَتِ الحيـاةُ بِقُـرْبِهِم ∴ وغـدا بهـم روضُ المسرّةِ مونِقَـا
٨- وحياتكم مالي سـواكم في الهـوى ∴ أَمَلٌ[٤] ولـستُ بغـيركُمْ مُتَعَلِّقَـا[٥]

---

(١) في فوات الوفيات: وطاب.

(٢) في فوات الوفيات: تهَنَّ وطالما.

(٣) في فوات الوفيات: طالما. والصواب ما في تاريخ ابن الجزري.

(٤) في فوات الوفيات: مرتجىً أبداً.

(٥) بدءاً من هذا البيت يختلف ترتيب أبيات النص في فوات الوفيات إذ وردت الأبيات على هذا الترتيب: البيت الثاني عشر: لا تحسبوا أني سررت، ويليه البيت الثامن: وحياتكم مالي سواكم، ويليه البيت التاسع: لكنني أخشى على أسراركم، ويليه البيت الثالث عشر: قد عبَّرت، ويليه البيت العاشر، أحببتكم وأشعت، ويليه البيت الحادي عشر: لقد وجدت لبينكم.

٩- لكنني أخشى على أسرارِكم ∴ فيصدني عَنْ أَنْ أفوهَ وَأَنْطِقَا[١]

١٠- وأحبُّكُم فأشيع ذِكْرَ سواكُمُ[٢] ∴ إذْ كُنْتُ مِنْ حَذَرٍ[٣] عليكم مُشْفقا

١١- ولقد وَجَدْتُ لِبَيْنِكُمْ يا سادتي ∴ ما أَزْعَجَ القلبَ المشوقَ وأقْلَقَا

١٢- لا تَحْسبُوا أَنّي سُرِرْتُ بِغَيْرِكُمْ ∴ مُذْ كَانَ شَمْلُ وِصَالِنَا مُتَفَرِّقَا

١٣- قَدْ عَبَّرَتْ عَبَرَاتُهُ عَنْ كُلِّ ما ∴ أخفِي بِطُولِ بُكَائِهَا لا مَنْطِقَا

التخريج:

١- تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤٢ - ٢٤٣.

٢- فوات الوفيات ٢/ ٢٠٢.

[١٣]

وقال: [من البسيط]

١- يا رَيِّسَ[٤] الحُبِّ[٥] أدرِكْني فَقَدْ وَحَلَتْ[٦]

مراكِبُ الحُبِّ بي في بَحْرِ أَشْوَاقِي[٧]

---

(١) في فوات الوفيات: دمعاً غدا متدافعا متدفقاً.

(٢) في فوات الوفيات - أحببتكم وَأَشَعْتُ حبَّ سواكم.

(٣) في فوات الوفيات: إذ كنت حذراناً.

(٤) في الوافي بالوفيات: يا رايس، وقد آثرت رواية فوات الوفيات لدلالتها على أثر البيئة المصرية في صيغ التعبير عند الشاعر.

(٥) في مسالك الأبصار: الوصل.

(٦) في مسالك الأبصار وصلت.

(٧) في مسالك الأبصار: في بحري وأشواقي.

٢- ولي بِـضَاعَةُ صَـبْرٍ[1] ضـاع أَكْثَرُهَـ ... وقـد غـدا ذا[2] الهـوى يَسْتَغْرِقُ البـاقي

التخريج:

١ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٦.

٢ - فوات الوفيات ٢/ ٢٠٠.

٣ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ١٩/ ١٣٠.

قافيـة الكاف

[١٤]

وقـال: [من الوافر]

١- سَـألْتُكِ وَقْفَـةً قَـدْرَ التَّـشَاكي ∴ أَبُـثُّ إليـكِ مـا بي مـن هـواكِ

٢- وَنَظْـرَةَ مُـشْفِقٍ في حـالِ صَـبٍّ ∴ لِرَحْمَـةِ حالِـهِ تبكـي البـواكي

٣- فتـاةَ الحـيِّ كَيْـفَ أَبَحْـتِ قَـتْلِي ∴ وَقَـدْ أَصْـبَحْتُ ضيفاً في حِمَـاكِ

٤- وَقَومُـكِ سـادةٌ عُـرْبٌ كِـرَامٌ ∴ حكى الإحسانَ عنهم كُلُّ حـاكي

٥- عـلى وادي الأراكِ لهـم خيـامٌ ∴ أنـار بحـسنها وادي الأراكِ

٦- أطُـوفُ بهـا لعـلَّ القلبَ يَهْـدَا ∴ مـن الأشـواقِ أو عينـي تـراكِ

٧- وَأَسْأَلُ مَنْ أبـو الأعـرابِ جَمْعـاً ∴ لِيَـذْكُرلي مُحَـدِّثُها أبـاكِ

٨- أيـا داراً حَـوَتْ مـن أهـلِ نَجْـدٍ ∴ غـزالاً لَـيْسَ يَقْنُـصُهُ شـباكِي

٩- سـقاكِ الغيـثُ مـن دارٍ وحـيٍّ ∴ فكـم صَـبٍّ بأدمُعِـهِ سَـقَاكِ

---

(١) في مسالك الأبصار: شعر.

(٢) في فوات الوفيات: وقد علانا الهوى، وفي مسالك الأبصار: وقد بدا ذا.

١٠ - إذا رَمَدَتْ عيونٌ من بُكاها ∴ فشافي كحْلِها سافي ثراكِ

التخريج:

١ - تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤٢.

٢ - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني ٣/ ٢٥١ - ٢٥٢.

قافيــة اللام

[١٥]

وقــال: [من الخفيف]

١ - بي طلوع منه أنا في نزول ∴ وطلُوعٌ بلا ارتفاعٍ نزولُ

٢ - قيل: لابُدَّ أن يزول سريعاً ∴ قلتُ: أخشى نَزُولُ قَبْلَ يَزولُ

التخريج:

- الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٧.

قافيــة الميم

[١٦]

وقــال: [من الكامل]

١ - بِالله إِنْ حَضَرَتْ لَدَيْكَ مَنِيَّتِي ∴ وَشَهِدْتَ من روحي الغداةَ حِمَامَها

٢ - فَكُنِ الوَفَّى لها فَأَنْتَ قَتَلْتُهَا ∴ وَتَمَشَّ خَلْفَ جَنَازَتِي وَأَمَامَهَا

٣ - فَلَعَلَّ مُنْكَرَ أَوْ نَكِيْراً[١] يُبْلِغَا[٢] ∴ رُوحِي بِأَنَّكَ قَدْ وَفَيْتَ ذِمَامَهَا

---

(١) في فوات الوفيات منكراً أو نكيرا، وقد حذفت تنوين منكر ليستقيم الوزن.

(٢) يرى الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد - رحمه الله - أن الألف في قوله «يبلغا» ليست ألف الاثنين، وإنما هي منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة، ويقول =

التخريج:

- فوات الوفيات ٢/ ٢٠٣.

[١٧]

وقال: [من السريع]

١- في[1] الجانِبِ الأيمنِ مِنْ وَجْهِهَا ∴ نُقْطَةُ مِسْكٍ أَشْتَهِي شَمَّهَا

٢- حَسِبْتُهُ لَمَّا بَدَا خالَهَا ∴ وَجَدْتُهُ مِنْ حُسْنِهَا عَمَّهَا

التخريج:

١ - تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤٢.

٢ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٢ – ٣٤٣.

٣ - صرف العين ٢/ ١٦٩.

٤ - فوات الوفيات ٢/ ١٩٨.

٥ - فض الختام عن التورية الاستخدام ١٢٣ – ١٢٤.

٦ - خزانة الأدب لابن حجة الحموي ٢/ ٤٣.

= «وتوكيد الفعل المضارع في مثل هذه الحالة كثير.». ينظر: فوات الوفيات لمحمد شاكر الكتبي، حققه وضبطه، وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، ملتزم الطبع والنشر دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م، الجزء الأول، صفحة ٤٧٤، هامش رقم٢..

(١) في فوات الوفيات: بالجانب، وقد أغار الصفدي على معنى بيتي السّروجي في قوله:

بأبي من سبى الورى بمُحَيَّا ∴ يخجل البدر حسنه حين تمّا

عمّـه خالُـهُ بحسنٍ بـديع ∴ ولقد قلَّ أن ترى الخالَ عمّا

ينظر: الروض الباسم، والعرف الناسم للصفدي صفحة ١٣٨ مقطوعة رقم ٣١، وكشف الحال في وصف الخال له أيضا صفحة ١١٢.

قافيــة النون

[١٨]

وقــال: [من البسيط]

١- أُحِبُّ بَدْراً له في القلبِ منزلـةٌ ∴ والطَّرْفَ لكن ذاك البـدرُ إنسانُ

٢- لي شاهدان عـلى دعـوى محبَّتِـهِ ∴ فـلا عَـدِمْتُهَا حُـسْنٌ وإحـسانُ

التخريج:

- تاريخ ابن الجزري ١/ ٢٤٤.

[١٩]

وقــال: [من الكامل]

١- عِنْدِي هوىً لـك طـال عُمْرُ زَمَانِـهِ ∴ لم يَبْـقَ لي صَـبْرٌ عـلى كتمانِـهِ

٢- قَـد ضَـلَّ قلبـي عـن طريـق سُـلُوِّهِ ∴ فدليلُـــهُ لا يَهْتَـــدِي لمكانِـــهِ

٣- يـا صـاحِبَ القلـبِ الـذي أفراحُـهُ ∴ تُلْهيْـهِ عـن قَلْبـي وعـنْ أَحْزَانِـهِ

٤- عَيْنـي لِفَقْـدِكَ قَـدْ بَـدَا إنسـانُها ∴ وَجَفَا الكَـرَى شَـوْقاً إلى إِنْسَانِهِ

٥- يـا مَـنْ بَـدَا في (١) حُـسْنِهِ مُتَلَطِّفـاً ∴ فَعَـشِقْتُهُ وَطَمِعْـتُ في إِحْـسَانِهِ

٦- كــان اعتقــادِىْ أَنْ أَفُـوزَ بِوَصْـلِهِ ∴ فَحُرِمْتُـهُ وَرُزِقْـتُ مِـنْ هِجْرَانِـهِ

٧- كـان الرُّقَـادُ لِـصَيْدِ طَيْفِـكَ حِيْلَتـي ∴ فَـسَلَبْتَهُ وَفَجَعْتَنَـي (٢) بِعيَانِـهِ

٨- وَمَنَعْتَنِـي أَنْ أَجْتَنِـي مِـنْ وَصْـلِهِ ∴ ثَمَـراً يَطِيـبُ جَنَـاهُ قَبْـلَ أَوَانِـهِ

---

(١) في الوافي بالوفيات: لي.

(٢) في الوافي بالوفيات: وفجعته.

٩- ضَمِنَ التَّلَطُّفُ مِنْكَ وَصْلِيَ في الهوى ∴ لكنْ أطالَ وما وَفَى بِضَمانِهِ
١٠- خَوْفَ الفراقِ إلى حِمَاكَ يَسُوقُنِي ∴ فمتى أفوزُ من اللُّقا بأمَانِهِ

التخريج:

١ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٥ - ٣٤٦.

٢ - فوات الوفيات ٢/ ٢٠٠- ٢٠١.

[٢٠]

وقال:

[من السريع]

١- يا ساعِيَ الشَّوْقِ الذي مُذْ جَرَى ∴ جَرَتْ دموعي فهْي أعوانُهُ
٢- خُذْ لي جواباً عن كتابي الذي ∴ إلى الحُسَيْنِيَّةِ عُنْوانُهُ
٣- فَهْيَ كما قَدْ قيلَ وادي النَّقا[1] ∴ وأهلُها في الحُسْنِ غِزْلانُهُ
٤- امض قليلاً، وانعطف يَسْرَةً ∴ يلقاك دَرْبٌ طال بنيانُهُ
٥- واقصدْ بِصَدْرِ الدَّرْبِ دارَ الذي ∴ بِحُسْنِهِ تَحَسَّنَ جِيْرَانُهُ
٦- سلم وقل يخشى مَسِنْ كي مَسِنْ ∴ آشِتْ[2] حديثا طال كتمانُهُ[3]
٧- كنكم[4] كزم ساوم إشى أط كبى ∴ فَحُبُّهُ أَنْتَ وَأَشْجَانُهُ

---

(١) في الوافي بالوفيات، وأعيان النصر: وادي الحمى.

(٢) في فوات الوفيات: أشت، وقد اخترت ضبط الوافي لتصحَّ التفعيلة.

(٣) جاء بالهامش رقم ٢ من فوات الوفيات قول الدكتور إحسان عباس «في هذا البيت والبيت الذي يليه ألفاظ تركية لم أهتد إلى حلها. فوات الوفيات ٢/ ١٩٩.

(٤) في فوات الوفيات: كنكلم، وقد اخترت ما ورد بالوافي لتصح التفعيلة.

٨- وَاسْأَلْ لِيَ الوصْلَ فَإِنْ قالَ يُقْ[1] ∴ فقل أَوَتْ[2] قَدْ طالَ هجرانُهُ

٩- وَكُنْ صديقي واقْضِ لي حاجةً ∴ فشكْرُ ذا عندي وُشكْرَانُهُ

التخريج:

١ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٤.

٢ - أعيان العصر، وأعوان النصر ٢/ ٤١٧.

٣ - فوات الوفيات ٢/ ١٩٩.

[٢١]

[من المنسرح]

وقال:

١- لم تبدُ مِمَّنْ أُحِبُّ سَيِّئَةٌ ∴ في الحُبِّ إلا رأيتُها حَسَنَةْ

٢- وما أتتني بطيْفِهِ سِنَةٌ ∴ إلا تمنَّيْتُ أن تكونَ سَنَةْ

التخريج:

- الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٨.

قافية الهاء

[٢٢]

[من السريع]

وقال:

١- أَفْدِي رئيساً كُلُّ فِعْلٍ لَهُ ∴ يُحِبُّهُ العبدُ ويرضاهُ

---

(١) وردت هذه اللفظة في فوات الوفيات بواو بعد الياء هكذا: يوق واخترت رواية الوافي ليستقيم الوزن.

(٢) وردت هذه اللفظة بألف بعد الواو هكذا «أوات» في فوات الوفيات واخترت رواية الوافي ليستقيم الوزن.

٢- وِمثْلُــهُ خادِمُــهُ مُحْـسِنٌ ∴ والعبــدُ مــن طِيْنَــةِ مــولاهُ

التخريج:

- فوات الوفيات ٢/ ٢٠٢.

[٢٣]

وقـال: [من الخفيف]

١- لي حبيبٌ مِنْـهُ أَرَى وَجْـهَ بَـدْرٍ ∴ لم يَـزَلْ داخِـلاً بـبابِ الـسَّعَادَهْ

٢- هُـوَ للحُسْنِ جـامعٌ حـاكِمِيٌّ ∴ فَلهــذا عُــشَّاقُهُ في الزِّيَــادَهْ

التخريج:

١ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٧.

٢ - فوات الوفيات ٢/ ٢٠١.

قافيــة الياء

[٢٤]

وقـال: [من السريع]

١- قُلْـتُ لمحبـوبي وَقَـدْ زارني[١] ∴ إليَّ يــا محبــوبَ قلبــي إلَيْ[٢]

---

(١) في الوافي بالوفيات: لما بدا، وقد آثرت رواية فوات الوفيات للمحافظة على سلامة تفعيلتي الحشو الثانية والعروض.

(٢) في الوافي بالوفيات: إليَّا بألف بعد الياء، وقد آثرت رواية فوات الوفيات لأحافظ على تفعيلة الضرب.

٢- قد عَشِقَ النَّاسُ وقد واصلوا ∴ ما وَقَعَ الإنكارُ إلا عليْ[1]

التخريج:

١ - الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٥.

٢ - فوات الوفيات ٢/ ٢٠٠.

(١) في الوافي بالوفيات: عليًا بألف بعد الياء وقد آثرت رواية ابن شاكر الكتبي للمحافظة على سلامة تفعيلة الضرب.

المبحث الثاني

ما تبقىٰ من نصوص موشحاته في كتب التراجم

جمع وتحقيق

[٢٥]

وقال موشحاً(*): [من مخلع البسيط]

بالرُّوح[١] أفديكَ يا حبيبي ∴ إنْ كُنْتَ تَرْضَى بها فداكْ

فداوِني اليومَ يا طبيبي ∴ فالجسمُ[٢] قد ذاب مِنْ جفاكْ

* * *

يا طلعةَ البدرِ إنْ تجلَّى[٣] ∴ وَإنْ تَثَنَّى فَغُصْنُ بانْ

بالوَصْلِ طُوبى لِمَنْ تَمَلَّى ∴ ونال من قربِك[٤] الأمانْ

(*) جعلت رواية فوات الوفيات أصلاً، وقابلت عليها غيرها من الروايات التي وردت في المصادر الأخرى لأنها أضبط الروايات لفظاً، ومعنى، وتعليقاً.

(١) ذكر محقق عقود اللآل الدكتور أحمد عطا أنها في الوافي: بروحي، وليس الأمر كما قال، يراجع عقول اللآل صفحة ٩٠ هامش ٤، وديوان الموشحات المملوكية صفحة ٣٨٢ هامش رقم ١، والوافي ١٧/ ٣٤٨.

(٢) في الوافي: فالقلب.

(٣) في عقود اللآل: تَمَلَّى،وأثبتها المحقق نفسه في ديوان الموشحات المملوكية، تجلَّى، والثانية هي الأصح رواية ودراية.

(٤) في الوافي: هجرك.

قـل لي: نعـم قـد ضَـجِرْتُ مـن لا ∴ وضـاع منِّـي بهـا الزمـانْ

* * *

فـارْجِعْ إلى اللهِ مِـنْ قَرِيْـبٍ ∴ فـبعضُ مـا حَـلَّ بي[1] كَفَـاكْ
مِـنْ دَمْـعِ عَيْنِي وَمِـنْ نَحِيْبَـى ∴ وادي الحمـى أنبـتَ الأراكْ

* * *

واللهِ مـا كُنْـتَ في حـسابي ∴ وإنـما عـشقك اتفـاقْ
ومـا أنـا مـن ذوي التـصابي ∴ فَلِـمَ دمـي في الهـوى يُـراقْ
وُكِّلْـتَ بي تَبْتَغـي عـذابي ∴ بالـصدِّ[2] والبـين والفـراقْ

* * *

ثَلاثـةٌ قَـدْ غَـدَتْ نـصيبي ∴ يـا ليتهـا لا عَـدَتْ عِـداكْ
وإنْ تكُـنْ تَرْتَـضِي الـذي بي ∴ فَـإِنَّ كُـلَّ المنـى رِضَـاكْ

* * *

إِنْ طـال شـوقي وزاد وَجْـدِي ∴ فَـإِنَّني عاشِـقٌ صـبُورُ
اسـمعْ حـديثي بَقِيْـتَ بَعْـدِي ∴ أنـا وحـقَّ النَّبـي غَيُـورُ
مـا أشـتهي أن يكـون ضِـدِّي ∴ يمـشي حَوَالَيْـك أو يـدورُ

* * *

---

(١) أشار محقق عقود اللآل إلى أن ما بالوافي «ما جرى»، وليس الأمر كما قال، يراجع عقود اللآل صفحة ٩١ هامش رقم ٧، والوافي ١٧/ ٣٤٨..

(٢) في الوافي: الصد.

كـأنـما لَحْظُـه رقيبـي ∴ مـلازمٌ[1] عنـدما أراكْ[2]
يـسعى إلى النـاس في مَغِيْبِـي ∴ يقـولُ هـذا يُحِبُّ ذاكْ

* * *

جميـعُ مـا تـشتهي وتـرضى ∴ عـليَّ إحـضارُهُ إليـكْ
وذاك شيءٌ أراه فَرْضَـا ∴ بـالله قـل لي ومـا عليـكْ
أَنْفِـقْ وخـذ مـا تريـدُ نـضًّا ∴ فحاصـلي أمـره لـديكْ[3]

* * *

فأنـت يـا نزهتـي طبيبـي[4] ∴ عـن صُحْبَتي مالـكْ انفكـاكْ
ولا[5] ابـن عمِّـي ولا نَـسِيْبِي ∴ يَـسْرِي إلى مُهْجَتِـي سُرَاكْ[6]

* * *

إنْ كُنْـتَ تهـوى مقـامَ شُرْبٍ ∴ قُـمْ نَغْتَبِـقْ ثُـمَّ نَـصْطَبِحْ
تعـالَ حتـى تُزِيْـلَ عَتْبِـي ∴ وبعـد ذا العَتْـبِ نَـصْطَلِحْ
والحـب في القلـب لا تُعَبِّـي[7] ∴ ورَوِّحِ الهـمَّ تَـسْتَرِحْ

* * *

---

(١) في الوافي: ملازمي.
(٢) في الوافي: يراك.
(٣) في الوافي: إليك.
(٤) في الوافي: وطيبي.
(٥) في الوافي: وما.
(٦) في فوات الوفيات: يرى إلى مهجتي سواك، وقد آثرت رواية الوافي لشاعريتها.
(٧) في فوات الوفيات: لا تُغَبِّي.

فـالعَيْشُ للعاشِـقِ الكئيـبِ ∴ يطيـب للأنـسِ[1] في حمـاكْ
في خِلْـسَةِ المَنْظَـرِ العَجِيْـبِ ∴ تُجِيْبُـهُ كُلَّـمَا دعـاكْ

* * *

التخريج:

١ – الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٤٨ – ٣٤٩.

٢ – فوات الوفيات ٢/ ٢٠٣ – ٢٠٥.

٣ – عقود اللآل في الموشحات والأزجال: ٩٠–٩٣.

٤ – ديوان الموشحات المملوكية في مصر والشام: الدولة الأولى ٣٨٢– ٣٨٤.

٥ – المنهل الصافي، والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي ٧/ ١٠٤.

[٢٦]

[من مخلع البسيط]

وقال موشحاً:

يـا لائمـي في الهـوى كفـاني ∴ فَعَـدِّ عـن بَعْـضِ ذا المـلامْ
لِمَ لا تلـومُ الـذي جَفَـاني ∴ وضـدَّ عـن مقلتـي المنـامْ

* * *

هـواهُ مِـنْ أَشْـكَلِ المسـائلْ ∴ كـم حـار في وَصْـفِهِ فَقِيْـه
وفيـه مـا تنفـع الوَسَـائِلْ ∴ أخـشاهُ جَهْـدِي وأَتَّقِيْـه
وكـم عتـاب وكـم رسـائلْ ∴ أعـدّها حـين أَلْتَقِيْـه

* * *

(١) في الوافي بالوفيات: بالأنس، ولعلها الأصوب لموافقتها المعنى.

يهتـز مـن نـشوةِ الـدِّنانْ ∴ كـأنها[1] لحظُـهُ مـدامْ
وتعـتري[2] سـكتةُ اللسانْ ∴ يعـودُ[3] لا يفصحُ الكلامْ

* * *

أقسامُ هجرانِـهِ لِعِشْقِي ∴ مـاضٍ ومستقبلٌ وحـالْ
خَـاطَرْتُ في حُبِّـهِ بِنُطْقِـي ∴ إذ قُلْـتُ لابُـدَّ مِـنْ وصالْ
أخلصتُ عزمي بـه وصِـدْقي ∴ وقـد تعرَّضْـتُ للـسؤالْ

* * *

عسى بعَـيْنِ الرِّضـا يـراني ∴ مـن غـيرِ عُجْـبٍ ولا احتشامْ
يُبَـدِّلُ البُعْـدَ بالتَّـدَاني ∴ وَيُعْقِـبُ الهَجْـرَ بالتئـامْ

* * *

سَكِرْتُ مِـنْ حُبِّـهِ بِـشَمْسٍ ∴ مـن فـوق عِطْفَيـهِ تَطْلَـعُ
وفيـه يـومي مـضى وَأمْـسِي ∴ وَشَـمْلُنَا لـيس يُجْمَـعُ
عسى غـداةَ اللِّقـاء أُمْـسِي ∴ قـد ضَـمَّنا فيـه مَوْضِـعُ

* * *

وَأنْهَـبُ العَـيْشَ مـن زمـاني ∴ بالـضَّمِّ مـن ذلـك القـوامْ

---

(١) في ديوان الموشحات المملوكية: كأنّ، وقد أخطأ جامع الديوان ها هنا مرتين: الأولى حين خالف رواية «فوات الوفيات» بوصفها المصدر الوحيد للنص، والثانية حين لم يتنبه إلى أنّ ما أثبته يضطرب به الوزن.

(٢) في ديوان الموشحات المملوكية: ويعتري، وهي مخالفة للرواية في «فوات الوفيات».

(٣) في ديوان الموشحات المملوكية: يعود ولا يفصح، وفي هذا مخالفة لرواية فوات الوفيات من ناحية وخطأ يضطرب به الوزن من ناحية ثانية.

وَأَبْلُغُ القَصْدَ والأماني ∴ بِلَثْمِ ما قد حوى اللثامْ

* * *

مالي عذولٌ عليه لكن ∴ لسوء حظي له رقيبْ

يكونُ في أبعدِ الأماكن ∴ تَلْقَاهُ مِنْ جَمْعِنَا قريبْ

وفي فؤادي هواهُ ساكِن ∴ وما لدائي به طبيبْ

* * *

في حُسْنِهِ كاملِ المعاني ∴ كأنه البدر في التمامْ

وإنما نَقْضُهُ اعتراني ∴ وذابَ قلبي من الغرامْ

* * *

إذا تَخَلَّصْتُ مِنْ غرامي ∴ أتوبُ منه ولا أعودْ

ولا أقاسي على الدوامِ ∴ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَنْقُضُ العهودْ

أجفانُ عيني به دوامي ∴ من طولِ ما يُخْلِفُ الوعودْ

* * *

أراهُ بالطَّيْفِ إن أتاني ∴ وليس في وَصْلِهِ مرامْ

وعن كلامي به تواني ∴ حتى ولا لفظه السلامْ

* * *

التخريج:

١ - فوات الوفيات ٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦.

٢ - ديوان الموشحات المملوكية في مصر والشام الدولة الأولى: ٣٨٤-٣٨٦.

[٢٧]

وقال موشحاً: [من الرَّمَل][*]

عنبرُ الليل وكافورُ الصباح ∴ شعره[١] والفرقُ سلطان الملاح

فرقُهُ في شَعْرِهِ يَسْبي الأنام

شبه سير[٢] الصبح في صدر الظلام

فهما اثنان هما سامٌ وحسام

فبسامٍ لي طريقُ الرشد لاح ∴ وبحامٍ نشر الغي وشاح

فهو[٣] بدر والدجى من طرقه

وهو[٤] شمس والضحى من غُرَّتِهِ

والمعاني جمعت في صورته

(*) ذكر الدكتور أحمد محمد عطا في ديوان الموشحات المملوكية الذي جمعه ونشره عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، أن هذه الموشحة من بحر الرمل، وأشار في عقود اللآل الذي حققه ونشره بعد ذلك بتاريخ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م إلى أنها من بحر المجتث، والصواب ما ذهب إليه أولاً.

(١) في عقود اللآل، وديوان الموشحات المملوكية الدولة الأولى: ثغره.

(٢) في عقود اللآل، وديوان الموشحات المملوكية الدولة الأولى: ستر، وما ورد بالدر المكنون هو ما أثبتناه لأنه الأليق بالمعنى.

(٣) في عقود اللآل، وديوان الموشحات المملوكية الدولة الأولى: هو، وقد اخترنا رواية الدر المكنون لتسلم فاعلاتن من الخبن.

(٤) في عقود اللآل، وديوان الموشحات المملوكية الدولة الأولى: هو، وقد اخترنا رواية الدر المكنون لتسلم فاعلاتن من الخبن.

لي بـــه رَوْحٌ وريحـــانٌ وراح ∴ وهـو قـصدي والمنـى والاقـتراح

بــابليُّ اللَّحْــظِ رومــيُّ الخَفَــر

حبــشيُّ الخــال زنجــيُّ الــشَّعَرَ

عــربيُّ اللَّفْــظِ تركــيُّ النَّظَــر

هَزَّ مِنْ أَعْطَافِـهِ سُـمْرَ الرِّمـاح ∴ وانتضى من جَفْنِهِ بـيضَ الـصِّفاح

رشـــأٌ بـــالطرف يـــصطاد الأســـد

قـــده لَمَّـــا تثنـــى بالمَيَـــد

مـــات غـــصنُ البـــان غيظـــاً وحَـــسَد

وعلى الميْـتِ حمـامُ الـدَّوْحِ نـاح ∴ ولقـد أضـحى دفيناً في البطـاح

خَــــدُّهُ وردٌ جَنِــــيٌّ أَحْمَــــرُ

صـــدُغُهُ آسٌ طـــريٌّ (١) أخـــضرُ

ثغـــرُهُ درٌّ سَـــنِيٌّ أزْهَـــرُ

هـو أمْ طَلْـعٌ نـضيدٌ أم أُقـاح ∴ وسحيقُ المسكِ (٢) أمْ ريَّاهُ فـاح

* * *

التخريج:

١ - عقود اللآل في الموشحات والأزجال للنواجي ١٥٥ - ١٥٦.

٢ - الدر المكنون في السبع فنون لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ضمن

---

(١) في عقود اللآل، وديوان الموشحات المملوكية الدولة الأولى: نضير.

(٢) في عقود اللآل، وديوان الموشحات المملوكية الدولة الأولى: من.

الشعر الملحون أوزانه وقوافيه مع تحقيق كتاب الدر المكنون في السبع فنون لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي، رسالة دكتوراه غير منشورة، إعداد عهدي إبراهيم السيسي، كلية الآداب، جامعة طنطا ١٤٢٠ - ٢٠٠٠م صفحة ٣١٥، ٣١٦.

٣ - ديوان الموشحات المملوكية: الدولة الأولى للدكتور أحمد محمد عطا الصفحات ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨.

[٢٨] (*)

وقال موشحاً: [من الخفيف](*)(*)

طَرِبَ الدَّوْحُ مِنْ غِنَا القُمْري ∴ فَرَقَصْتُ(١) الكُؤوسَ بِالخَمْرِ

وَقِيَانُ الطُّيُور قَدْ غَنَّتْ

(*) وردت هذه الموشحة في الدر المكنون في السبع فنون لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي منسوبة لابن زيلاق، ينظر: الدر المكنون في السبع فنون لابن إياس الحنفي، ضمن الشعر الملحون أوزانه وقوافيه مع تحقيق كتاب الدر المكنون، رسالة دكتوراه غير منشورة، إعداد عهدي إبراهيم السيسي كلية الآداب - جامعة طنطا ١٤٢٠ - ٢٠٠٠م. صفحة ٣١٥، ٣١٦، وقد أشار إلى ذلك قبلنا أستاذنا الدكتور محمد زكريا عناني، كما أشار إلى أنها قد وردت في سجع الورق المنتحبة غير منسوبة لأحد. ينظر: العذارى المائسات صفحة ٧٣ هامش رقم (*).

(*)(*) ذكر الدكتور أحمد محمد عطا في ديوان الموشحات المملوكية الذي جمعه ونشره عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م أن هذه الموشحة من بحر الخفيف، وأشار في عقود اللآل الذي حققه ونشره بعد ذلك بتاريخ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م إلى أنها من بحر المجتث، والصواب ما ذهب إليه أولاً.

(١) في عقود اللآل، والعذارى المائسات: فَرَقَصن.

وَعَـــنِ الموصِـــلِيِّ[1] قَـــدْ أَغْنَـــتْ

وإليهـــا أرواحُنَـــا حَنَّـــتْ

والمثـــاني بالـــضَّرْبِ قَـــدْ أَنَّـــتْ

وَأَكُـــفُّ الغَـــمَامِ بـــالقَطْرِ ⁘ نَقَّطَـــتْ في الرِّيَـــاضِ[2] بالـــدُّرِ

وَلِنَـــوْحِ الهَـــزَارِ في الغُـــصْنِ

شُـــقَّ قَلْـــبُ[3] الـــشَّقِيْقِ بـــالحُزْنِ

والقنـــاني قَهْقَهْـــنَ[4] عَـــنْ دَنِّ

والحَيَـــا قـــال مـــن بُكَـــا جَفْنـــي

أصـبح الـــرَّوْضُ باسِـمَ الثَّغْـرِ ⁘ وعـــلى الـــنَّظْمِ جـاد بـــالنَّثْرِ[5]

---

(١) في عقود اللآل: وعن الموصول، وفي ديوان الموشحات المملوكية: وعن الموسيقا، وهما روايتان سقيمتان يضطرب بهما الوزن.

(٢) في عقود اللآل: للرياض، وما أثبتناه هو ما ورد بالعذارى المائسات، وديوان الموشحات المملوكية.

(٣) زعم الدكتور أحمد عطا أن الرواية في العذارى المائسات: قلبي، وليس الأمر كما زعم. ينظر عقود اللآل صفحة ١٥٧ هامش رقم ٦، وديوان الموشحات المملوكية صفحة ٣٨٩ هامش رقم ٤، والعذارى المائسات صفحة ٧٣.

(٤) في عقود اللآل: قهقهت، وهو خطأ يضطرب به الوزن، وما أثبتناه هو ما ورد بالعذارى المائسات، وديوان الموشحات المملوكية.

(٥) أشار أستاذنا الدكتور محمد زكريا عناني إلى أن بنص الموشحة في سجع الورق المنتحبة بعد هذا الجزء من النص زيادة ليست منها، بل من موشحة ابن باجة التي مطلعها:=

= جَـــرِّر الـــذَّيْلَ أَيَّـــمَا جَـــرَّ ∴ وَصِـلِ الـسُّكْرَ مِنْـكَ بالـسُّكْرِ

ينظر: العذارى المائسات، صفحة ٧٣، هامش رقم *، وأقول: وهذه الزيادة موجودة -أيضا- بنص الموشحة في الدر المكنون. ينظر: الدر المكنون، ضمن الشعر الملحون أوزانهِ وقوافيه مع تحقيق كتاب الدر المكنون، مصدر سابق، صفحة ٣١٥، ٣١٦. وهذه الزيادة هي:

وهمـــومي زالـــتْ بـــأفراحي

في مـــساءٍ وعنـــد إصـــباحي

والغـــواني تطـــوف بـــالراح

قـــد سـعتْ للثـرى بأقـــداح

وقـــدود الأغـــصان بالـــسُّكْرِ ∴ تنثنـــي في غلائـــلٍ خُـــضْرِ

طـــاب شربي مـــن خمـــر خَمَّـــارِي

بـــين مُـــرْدٍ وبـــين أبْكَـــارِ

وريـــاض وجـــدول جـــاري

وَيَـــدْ الـــصبح زنـــدُها الـــسوارى

قَـدَحَتْ مِـنْ مَجَـامِرِ الزَّهْـرِ ∴ جـــذوةً عَنْبَرِيَّـــةَ النَّـــشْرِ

ونصها في موشحة ابن باجة التي بالعذارى المائسات هو:

فهمـــومٌ راحـــتْ بـــأفراح ∴ في مـــساء وعنـــد إصـــباحي

والغـــوادي تجـــودُ بـــالراح ∴ وَهْـــيَ تـــسقى الربـــى بأقـــداح

وقـــدودُ الأغـــصان بالـــسُّكْرَ ∴ تنثنـــي في غلائـــلِ خَـــضُرِ =

رُبَّ سـاقٍ سـعى بـصهباءِ
فِي ريـاضِ كَـوَشْيٍ صَـنْعَاءِ
وكَـشَمْسِ الـضُّحَى بِـلألاءِ
وَلأَيْـدِي الرِّيـاحِ في المـاءِ
شـبكٌ نَـسْجُهَا مِـن التِّبْرِ ∴ لـصيدِ الأسـماكِ في النَّهْـرِ
قُلْـتُ: حُـثَّ الكـؤوس يـا سـاقي
قـال دَعْنِـي فبـينَ عُـشَّاقي
قـامَ حَـرْبُ الهـوى عـلى سـاقِ
بِقَـوَامي وَسِـحْرِ أَحْـدَاقي
فَرَنـا وانْثَنَـى إلى قَهْـرِي ∴ بالظُّبَـا البيـضِ والقَنَـا الـسُّمْرِ
خَـدُّه العَنْـدَمِيُّ أَمْ(1) وَرْدُ
ريقُـهُ الـسُّكَّرِيُّ أَمْ شَـهْدُ
نَـشْرُهُ العَنْـبَرِيُّ أَمْ نَـدُّ

= طـاب شُرْبي مـن خمـر خَمَّـارِي ∴ بـين مـردٍ وبـين أبكـار
وجنينـا وردًا ولا حـارِي ∴ ويـدُ الـصُّبْح زنـدها وارِي
قَـدْ جَنَـتْ لي مـن أحْسَنِ الزَّهْـرِ ∴ جـذوةً عَنْبَرِيَّـةَ النَّـشْرِ

(١) هذه رواية عقود اللآل، وديوان الموشحات المملوكية، وفي العذارى المائسات: أو وردُ.

ثَغْــــــرُهُ الجـــــوهرِيُّ أمْ عِقْـــــدُ

بــدرُ تــمٍّ في غَيْهَــبِ الـشعرِ ∴ باسِــمٌ عــن كواكــبِ الزهــر[1]

* * *

التخريج:

١ - عقود اللآل في الموشحات والأزجال لشمس الدين محمد بن حسن النواجي المتوفى ٨٥٩هـ. دراسة وتحقيق الدكتور أحمد محمد عطا، الصفحات ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩.

٢ - العذارى المائسات في الأزجال والموشحات، مجموعة مجهولة المؤلف، انتقاها فيليب قعدان الخازن، دراسة وتحقيق د. محمد زكريا عناني، دار الثقافة بيروت لبنان صفحة ٧٣، ٧٤.

٣ - ديوان الموشحات المملوكية في مصر والشام الدولة الأولى، جمع وتحقيق الدكتور أحمد محمد عطا، مكتبة الآداب بالقاهرة صفحة ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠.

---

(١) هذه رواية العذارى المائسات، وديوان الموشحات المملوكية، وفي عقود اللآل: عن كواكبٍ زُهْرِ.

الخاتمة

لقد جمعنا فيما مضى من مباحث ما تبقى من نصوص شعر تقي الدين السروجي وموشحاته في كتب الأدب والتراجم، وتحدثنا عن جانبين من الجوانب التي من الممكن أن يدور حولها الكلام عند التعرض بالدرس والبحث لهذا الشاعر المملوكي ونتاجه الفني، وهما حياته وثقافته، والمعاني الصوفية في شعره ونتوقف الآن عند أهم ما توصلنا إليه من نتائج:

١ - أماطت هذه الورقة البحثية اللثام عن شخصية شاعر مملوكي مجهول أسدل الزمان عليه، وعلى أمثاله من الشعراء المقلين المجيدين ستائر النسيان وهو تقي الدين السروجي المتوفى سنة ٦٩٣هـ.

٢ - استطعنا أن نتلمس الأسباب التي كانت وراء ارتحاله من سروج بديار الشام، وانتقاله للإقامة بحي الحسينية بالقاهرة على الرغم من صمت المصادر التاريخية والأدبية عن الإشارة إليها.

٣ - استطعنا أن نلتمس الأسباب التي كانت وراء إغفال مؤرخي الصوفية كابن فضل الله العمري، والإمام الشعرانى من الأقدمين والدكتور علي صافى حسين من المحدثين التأريخ تقي الدين السروجي في تصانيفهم.

٤ - أننا استطعنا أن نصنع له مجموعاً شعريا يحتوي على ثمانية وعشرين نصاً تنقسم إلى قسمين: القسم الأول نصوص الشعر، وهو يحتوي على أربعة وعشرين نصا شعريا، والقسم الآخر الخاص بنصوص الموشحات التي بلغ عددها أربعة موشحات.

٥ - أننا استطعنا أن ثبت أن موشحة طرب الدوح صحيحة النسبة لتقي الدين السروجي، وليست من نصوص موشحات ابن زيلاق كما زعم ابن إياس الحنفي.

٦ - أننا امطنا اللثام عن المنابع التي كان السروجي يمتح منها ما يضمنه من معاني ومضامين صوفية فيما ينظم من أشعار وموشحات، ومن أهم هذه المنابع التراث الشعري الخاص بسمنون المحب المتوفى٢٩٧هـ، وأبي الروذباري المتوفى٣٢٣ هـ، والتراث الشعري الصوفي الذي خلفه شعراء القرن السادس من مثل نجم الدين محمد بن إسرائيل المتوفى٦٧٧هـ، وشهاب الدين محمد بن عبد المنعم المعروف بابن الخيمي المتوفى٦٨٥ هـ.

٧ - وقد أفضت بنا دراسة ما تبقى من نصوص شعره وموشحاته إلى أنها من الممكن أن تؤخذ على ظاهرها بوصفها أشعارًا أو موشحات في الغزل الحسي الخالص، ومن الممكن أن تُؤَوَّلَ لتصير نصوصاً شعرية صوفية.

٨ - أننا اكتشفنا أن تصوف تقي الدين السروجي كان تصوفاً بدعيًّا، ولم يكن تصوفا سنيا، وأنه ربما تأثر في تصوفه بالتيار الغنوصي الذي ساد الفكر الفلسفي والتصوف في عصره، وربما تأثر بنظرية التجلي والشهود كما وردت عند محيي الدين بن عربي، إلى جواره إيمانه بالحلول، حيث كان حلوليا من الدرجة الثانية، وهي الدرجة التي يستبيح أصحابها النظر إلى وجوه الرجال والنساء.

٩ - بتأويل بعض نصوص أشعاره وموشحاته وجدناه يدرك أن المحبة هي الموضوع الشعري الأول في الأدب الصوفي، حيث تحدث عن فناء المحب في المحبوب، وعن افتداء المحبوب، وعن ضرورة كتمان المحبة وصون سرها عن الذيوع في غير أهلها، وعن الصدق في المحبة وأثره في الوصول بالمحب إلى مقام الرضا

كانت هذه فيما أظن أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

والحمد لله أولاً وآخرا.

إيضاح وتذييل

بعد فراغي من تصحيح تجارب طبع هذا الكتاب ودفعي به إلى المطبعة أخبرني أخي الأستاذ أحمد علي حسن صاحب مكتبة الآداب ومديرها بأن نشرة من شعر تقي الدين السَّروجي قد خرجت عن مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة عام ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م باعتناء الباحث العراقي الدكتور/ عباس هاني الجراخ، فاقتنيتُها، واطلعت عليها، وأودُّ في هذا الإيضاح بيان عدة أمور بشأنها:

أولاً: أن نشرة الدكتور عباس - وإن كانت تؤكد ريادتي وسبقي في جمع ما تبقَّى من شعر تقي الدين السَّروجي وموشحاته من مصادر الأدب وكتب التراجم وتحقيقه ودرسه - إلا أنها للأسف لم تُشِرْ إلي نشرتي!!

ذلك أن نشرة الدكتور الجراخ لم تصدُر إلا في عام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، وإن كان عليها تاريخان أقدمها وهو التاريخ الذي ذيّل به مقدمة بحثه، وهو ١/ ٧/ ٢٠٠٨، وثانيهما هو تاريخ الطبعة الأولى للكتاب وهو عام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

أما ورقتي البحثية في هذا الموضوع فتاريخها أقدم من التاريخ الذي ذيَّل به الدكتور الجراخ مقدمته بعام ونصف، وأقدم من تاريخ نشر دراسته بمكتبة الثقافة الدينية بثلاثة أعوام كاملة؛ لأن دراستي نُشِرَتْ في مجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق بالعدد الحادي والأربعين الصادر في ربيع ٢٠٠٧م، ومجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق ليست من المجلات المغمورة، وإنما هي مجلة مشهورة ذائعة الصيت، تنشر دراسات الباحثين في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية بانتظامٍ منذ ربع قرن، وقد صدر منها ما يربو على خمسين مجلدًا حتى الآن.

ثانيًا: يغلب على نشرة الدكتور الجراخ ما يغلب على النشرات التجارية من التسطيح في الدرس العلمي للنص المحقق أو المنشور، ذلك أنه قدَّم بين يدي النص الشعري تعريفًا بتقي الدين السّروجي، وأغراض شعره، في ثماني عشرة صفحة، جاء معظمها منقولاً عن كتابات الأقدمين، وبعض الدارسين المحدثين نقلاً حرفيًّا يخلو من التحليل والنقد.

ومن الغريب الذي لا ينقضي منه العجب في هذا السياق أنه نقل عن أستاذنا الجليل الدكتور محمد زغلول سلاّم نصًّا يشير إلى ما كان عليه تقي الدين السّروجي من التصوف، ومع هذا مضى يتحدث عن الشاعر بوصفه واحدًا من شعراء الغزل الحسِّي دون أن يستثمر إشارة أستاذنا إلى ما تحمل نصوص شعره من مضامين صوفية، وهنا مكمن البون الشاسع بين دراسة الدكتور الجراخ ودراستنا، حيث فصَّلْتُ القول تفصيلاً في تصوف السروجي، وأثره في شعره.

ثالثًا: نقل الدكتور الجراخ موشحة «طَرِبَ الدوح» عن عقود اللآل للنواجي، وديوان الموشحات المملوكية للدكتور أحمد عطا، وفاته أن يشير إلى أن هذه الموشحة تُنسب لابن زيلاق في كتاب «الدر المكنون في السبع فنون» لابن إياس الحنفي، وفاته ـ أيضًا – أن يشير إلى الزيادات التي دخلت على نص هذه الموشحة من موشحة ابن باجة التي مطلعها:

جـــرِّر الـــذَّيل أيَّـــما جـــرِّ   وصِـــلْ الـــسُّكْرَ منـــكَ بالـــسُّكْرِ

رابعًا: تكتظ نشرة الدكتور الجراخ بالأخطاء النحوية واللغوية؛ ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله في صفحة ١٤ «يُعَدّ الإيقاع ركن رئيس من أركان الشعر» والصواب «يُعَدُّ الإيقاع ركنًا رئيسًا من أركان الشعر»، وقوله في صفحة ١٩ «للقافية وظيفة إيقاعية موسيقية مهمة سواء كانت مقيدة أو المردوفة»، والصواب

«سواء أكانت مقيدة أم مردفة....».

خامسًا: تكتظ نشرة الدكتور الجراخ بالأخطاء العلمية الفادحة من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله في صفحة ١٤ «ونجد في شعره بعض الممكنات أي الضرورات الشعرية التي أبيح للشاعر أن يستخدمها، منها قصر الممدود في قوله: أطوف بها لعلّ القلب يَهدا، فالفعل يهدأ بالهمز صار عنده يهدا بدونها».

إن كل دارسي العربية يعرفون أن المقصور والممدود نوعان من أنواع الأسماء، وليسا من أنواع الأفعال، ويعرفون أن لفظة «يهدأ» فعل لا اسم، وهو عندهم فعلٌ مهموز، ولم أجد أحدًا سماه ممدودًا قبل اليوم.

ومن الأخطاء العلمية الفادحة – أيضًا – أنه يعتمد في تعريف المصطلحات العلمية الدقيقة على كتب غير متخصصة، ومن ذلك على سبيل المثال أنه اعتمد في تعريف الوزن الشعري على كتاب «تطور الشعر العربي الحديث في العراق».

ومن الأخطاء العلمية في الجانب الإيقاعي من دراسته أنه وضع بحور الطويل، والسريع، والكامل، والخفيف، والوافر، والبسيط، والمنسرح في سلة واحدة، وادعى أنها جميعًا تمتاز بمقاطعها الكثيرة، ومناخها الموسيقي الرزين!! والأمر ليس كذلك.

لهذا كله، ولغيره كانت هذه النشرة – في رأيي – نشرة تجارية لا يصحُّ أن يعتمد عليها الدارسون ومؤرخو الأدب العربي، ولولا خوف الإطالة لأثبتُّ كل ما لديَّ من تعليقات، وإني لأرجو أن يتاح لي نشرها كاملة في إحدى المجلات العلمية.

والله ولي التوفيق

مصادر البحث ومراجعه

١- **الأدب الصوفي في مصر**، ابن الصباغ القوصي، شيخ التصوف المصري في القرن السابع الهجري، للدكتور علي صافي حسين، مكتبة الدراسات الأدبية، العدد ٦١، دار المعارف، القاهرة، طبعة ١٩٧١م.

٢- **الأدب في العصر المملوكي**، لأستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام، الجزء الأول، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٤م.

٣- **أعيان العصر وأعوان النصر** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق الدكتور علي أبي زيد وزملائه، قدّم له مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤- **الأمر المحكم المربوط في معرفة ما يحتاج إليه أهل طريق الله من الشروط**، للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، رسالة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩ مجاميع.

٥- **تأهيل الغريب**، لشمس الدين محمد بن حسن النواجي، تحقيق الدكتور أحمد محمد عطا، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة.

٦- **تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه** المعروف بتاريخ ابن الجزري، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي، تحقيق الأستاذ الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الجزء الأول، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٧- **تلبيس إبليس** للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى ٥٧٩هـ حققه وعلق عليه أيمن صالح شعبان، طبع دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.

٨- **خزانة الأدب وغاية الأرب**، لتقي الدين أبي بكر على المعروف بابن حجة الحموي، شرح عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٩- **الدر المكنون في السبع فنون**، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ضمن الشعر الملحون أوزانه وقوافيه مع تحقيق كتاب الدر المكنون في السبع فنون لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي، رسالة دكتوراه غير منشورة إعداد عهدي إبراهيم السيسي، كلية الآداب، جامعة طنطا ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٠- **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي المتوفى ٨٧٤هـ، الجزء الأول، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٨م.

١١- **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، لأبي الحسن الباخرزي، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

١٢- **ديوان الصبابة** لابن أبي حجلة التلمساني ت ٧٧٦هـ، بتقديم، وتحقيق، وتعليق أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلاّم، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٧م.

١٣- **ديوان الموشحات المملوكية في مصر والشام: الدولة الأولى**، جمع وتحقيق

الدكتور أحمد محمد عطا، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٤- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري النيسابوري، تحقيق وإعداد معروف زريق، وعلي عبد الحميد أبو الخير، الطبعة الثانية، دار الخير، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٥- الرمز الشعري عند الصوفية، للدكتور عاطف جودة نصر، دار الأندلس للطبع والنشر، بيروت، لبنان.

١٦- الروض الباسم والعرف الناسم، لصلاح الدين الصفدي ت ٧٦٤هـ، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، القاهرة.

١٧- سفينة الملك، ونفيسة الفلك، لشهاب الدين محمد بن إسماعيل بن عمر الحجازي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، العدد ٢٠١.

١٨- شعراء الصوفية المجهولون، للدكتور يوسف زيدان، سلسلة كتاب اليوم، العدد ٣١٩، دار أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩١م.

١٩- شعر عمر بن الفارض: دراسة في فن الشعر الصوفي، د. عاطف جوده نصر، دار الأندلس، بيروت. لبنان.

٢٠- شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي كاتبًا: رؤية أدبية نقدية، للدكتور نبيل محمد رشاد، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٦م.

٢١- صرف العين، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، حققه الدكتور محمد عبد المجيد لاشين، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة ٢٠٠٦م.

٢٢- **العذارى المائسات في الأزجال والموشحات**، مجموعة مجهولة المؤلف انتقاها فيليب قعدان الخازن، دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور محمد زكريا عناني، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت، ٢٠٠٠م.
٢٣- **العصر المماليكي في مصر والشام**، للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٦م.
٢٤- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، لبدر الدين العيني المتوفى ٨٥٥هـ الجزء الثالث، حققه ووضع حواشيه الدكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢٥- **عقود اللآل في الموشحات والأزجال** لشمس الدين محمد بن حسن النواجي، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد محمد عطا، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٦- **الغيث المسجم في شرح لامية العجم**، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٥م.
٢٧- **فوات الوفيات والذيل عليها**، لمحمد شاكر الكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان ١٩٧٤م، ونسخة أخرى حققها، وضبطها، وعلق حواشيها، محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.
٢٨- **كتاب أدب الملوك في بيان حقائق التصوف**، لمؤلف مجهول، باهتمام بيرندراتكه، نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، ١٩٩١م.
٢٩- **كشاف اصطلاحات الفنون**، لمحمد الفاروقي التهانوي، الجزء الثاني، حققه لطفي عبد البديع، ترجم النصوص الفارسية الدكتور عبد النعيم

محمد حسنين، راجعه الأستاذ أمين الخولي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٦٩م، والجزء الثالث، حققه الدكتور لطفي عبد البديع، وترجم النصوص الفارسية الدكتور عبد النعيم محمد حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، والجزء الرابع، بتحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، وترجم النصوص الفارسية الدكتور عبد النعيم محمد حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

٣٠- **كشف الحال في وصف الخال**، لصلاح الدين الصفدي ت ٧٦٤هـ، تحقيق سهام صلان، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٠ – ١٩٩٩م.

٣١- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** لحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، لبنان،١٤٠٢-١٩٨٢م.

٣٢- **لسان العرب** لابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وزملائه، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ونسخة أخرى إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، قدم له الشيخ عبد الله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت١٩٨٩م-١٩٧٠م.

٣٣- **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول**، للدكتور فوزي محمد أمين، دار المعارف، الإسكندرية،١٩٨٢م.

٣٤- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، لشهاب الدين أبي العباس أحمد ابن يحيى بن فضل الله العمري، الجزء التاسع عشر، تحقيق د/ محمد عبد القادر خريسات، ود/ عصام مصطفى عقلة، ود/ يوسف أحمد بني ياسين، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ، بدولة الإمارات العربية المتحدة.

٣٥- **معجم اصطلاحات الصوفية**، لعبد الرازق الكاشاني المتوفى٧٣٠هـ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الخالق محمود، الطبعة الثالثة، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٦- **معيد النعم ومبيد النقم** لتاج الدين السبكي المتوفى٧٧١هـ، حققه وضبطه وعلق عليه محمد علي النجار، وأبو زيد شلبي، ومحمد أبو العيون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٧- **المقتفي على كتاب الروضتين**، المعروف بتاريخ البرزالي، لعلم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي الدمشقي المتوفى٧٣٩هـ، الجزء الأول، القسم الثاني، تحقيق الأستاذ الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٨- **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي** لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي المتوفى٨٧٤هـ، الجزء السابع، حققه ووضع حواشيه الدكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٣م.

٣٩- **موسوعة موسيقى الشعر عبر العصور والفنون**، للدكتور عبد العزيز نبوي، دار اقرأ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٤٠- **نفحات الأنس من حضرات القدس**، لمولانا أبي البركات عبد الرحمن الجامي، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، العدد ٢٠٢، القاهرة ٢٠١٠م.

٤١- **الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الجزء السابع عشر، باعتناء دوروتياكرافوسكي، نشرة جمعية المستشرقين الألمانية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ-١٩٩١م.

الفهرست التحليلي

الموضـــوع	الصفحة
– قافية العين	٦١
– قافية الفاء	٦٢
– قافية القاف	٦٣
– قافية الكاف	٦٥
– قافية اللام	٦٦
– قافية الميم	٦٦
– قافية النون	٦٨
– قافية الهاء	٧٠
– قافية الياء	٧١
المبحث الثاني: ما تبقى من موشحاته جمع وتحقيق	٧٣
• الخاتمة	٨٦
• إيضاح وتذييل	٨٨
• مصادر البحث ومراجعه	٩١
• الفهرست	٩٨
• كتب أخرى للمؤلف في أدب العصر المملوكي الأول	٩٩

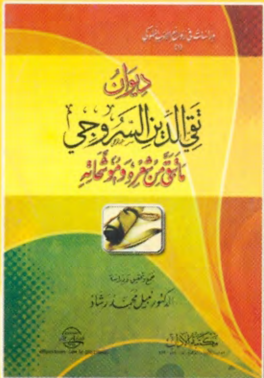
كتب أخرى للمؤلف في أدب العصر المملوكي الأول

١ - الصفدي وشرحه على لامية العجم دراسة تحليلية، الطبعة الخامسة، مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠٠٧م، وقد كتب على هذه النشرة خطأ الطبعة الأولى لذا لزم التنويه هنا إذ لم نستطيع إصلاحها هناك.

٢ - شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي ت ٧٢٥هـ كاتبًا رؤية أدبية ونقدية، الطبعة الأولى، مطبعة الشاعر بطنطا، ٢٠٠٦م.

٣ - رائية جمال الدين التبريزي في موقعة مرج الصفَّر مقاربة تحليلية، نشر بالعدد الثالث من المجلد العاشر من مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، القسم الأدبي عام ٢٠٠٤ بعنوان فرعي هو دراسة في شبكة الظروف والتناص، وأعيد طبعه بمكتبة الآداب بعنوانه الجديد، القاهرة ٢٠١١م.

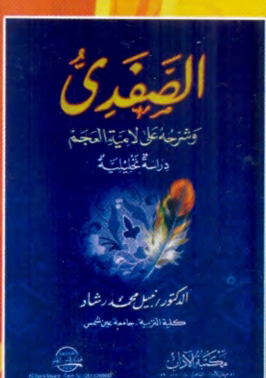
من إصدارات مكتبة الآداب للمؤلف



جمع المحقق في هذا الكتاب للمره الأولى فى تاريخ نشر التراث العربي ، ما تبقى فى كتب الأدب و التاريخ من شعر تقى الدين السروجى (المتوفى ٦٩٣هـ) و موشحاته، و قدم لها بمقدمة كاشفة عرف فيها بالشاعر وفنون ثقافته مع الإشارة إلى ما كان ينزع اليه من التصوف.



يقدم المؤلف فى هذا الكتاب تحليلاً لرائية جمال الدين التبريزى المتوفى ٧٤٠هـ فى موقعة مرج الصفر التى خاضها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ضد التريين فى عام ٧٠٢هـ، وهو يأتى فى إطار ما يبذل المؤلف من جهد فى سبيل إماطة اللثام عن النصوص الأدبية العالية التى تزخر بها مصادر التاريخ وكتب التراجم رجاء وضعها فى بؤرة الدرس الأدبى والنقدى.



يقدم المؤلف فى هذا الكتاب منهجاً جديداً فى قراءة كتب التراث من خلال تحليل كتاب:

"غيث الأدب الذى انسجم فى شرح لامية العجم"

للصلاح الصفدى، و هذا المنهج تقوم دعائمه على النظر إلى الكتاب بوصفه دالاً على الحياة الفكرية فى عصرة من ناحية، و بوصفه دالاً على ثقافة مؤلفه من ناحية أخرى، و يتتبع مصادر الكتاب، و منهجه، و القضايا الأدبية و النقدية المطروحه فى غضونه.